

فردة بيادة معطرة بالدم

رواية

حسن خلف حسين



بطاقة الكتاب

فردة بيادة معطرة بالدم

حسن خلف حسين

رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٩ / ١٦٧٣٩

الطبعة الأولى

عدد الصفحات : ١٥٢

تاريخ الإصدار: سبتمبر ٢٠١٩

دار وادي عبقر للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

المدير التنفيذي

لمياء حمدي

الإخراج والتدقيق الفني و

المراجعة اللغوية

أ / مها عبد الوهاب الجمل

جميع حقوق الطبع والنشر

محفوظة للمؤلف ، ولا يحق لأي

دار نشر طبع و نشر و توزيع

الكتاب إلا بموافقة كتابية من

الكاتب و الناشر



دار وادي عبقر

للطباعة و النشر و التوزيع

بيت الإبداع .. و موطن العبقرية



wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr



wadiabkar@gmail.com



www.facebook/ wadiabkar



www.youtube.com/ wadiabkr /



٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

ت : ٠١١٠٠٤٧٤٥٧٥

ت : ٠١٢٢٤٩٦٩٠٤٨

ت : ٠١٢٢١٤٨١٨٥٦



إهداء

- إلى كل أم فقدت فلذة كبدها وهو يدافع عن الأرض والعرض
 - إلى كل أسرة تعيش على أمل عودة ولدها بسلام من واجبه الوطني
 - إلى كل شهيد تعطرت بدمائه أرض الوطن على مر العصور
 - إلى كل الجرحى والمصابين الذين يعانون الألم من أجلنا
- تحية تقدير وإجلال....

حسن خلف حسين



شكر و تقدير خاص

يتقدم

الأديب / حسن خلف حسين

بكل آيات الشكر و التقدير

للسيدة / علا الكيلاني

على إهدائها فكرة الكتابة لهذه الرواية خاصة، و الكتابة عن
سinnاء عامة لما لهذه البقعة الطاهرة من أرض الوطن من قيمة
تاريخية و دينية تجعلها موضع تقديس في قلوبنا

الفصل الأول



صباح يوم الخميس بنت فيه الشمس حزينة يكاد نورها يطل على أرض الله مشاركاً أهل قرية بني عامر مصابهم في فقيدهم زينة شبابه، لا يعلم أحدا منهم ولا يتصور ما سوف يسمع، فقد كان الفقيد بشوش الوجه باراً بأهله، مشاركاً لأهل قريته جميعاً أفرلحهم وقرلحهم، لا يذكر أحد منهم كلمة نطق بها لسانه إلا عطراً وما ارتفع صوته على صغير أو كبير منهم، تسلح بالعلم وزينه بالألب والأخلاق الحميدة تفوق أخلاق أهل لريف في سموها.

سيارة جيب عسكرية يقودها لمجد "عادل" بجواره النقيب "يوسف" وفي المقعد الخلفي رقيب أول "رمضان" بجواره لفافة وضعت في كيس بلاستيكي، ثلاثتهم في صمت؛ فالكلمات داخلهم صعب خروجها على لسانهم لمرتعة، بينما لسيارة تشق طريقها وسط حقول لذرة المائلة تنحني لمهمتهم لثقيلة، يلور في خلد كل منهم ماهية لكلمات التي يجب أن يقال حين وصولهم موقع مهمتهم الحزينة، وهل لية كلمات مهما كانت بلاغتها سوف يكون لها أثراً عند من يتلقونها؟!، أراد النقيب يوسف



سندًا وعرنًا له ممن يعرفون أهل القرية سواء عمدتها أو مأمور المركز،
ويفضل كليهما معًا فالأمر ليس بالهين.

شعر من في السيارة الجيب أن إطاراتها تأبى الحركة المعتادة؛ وكأنها
تشاركهم ضعف نبض قلوبهم وحبس أنفاسهم، قطع الصمت المميت هذا
صوت النقيب يوسف يتحدث في هاتفه:

- أيوه يا افندم أنا النقيب يوسف اللي جاي في مهمة الشهيد اللي ساكن في
قرية بني عامر... إحنا قدامنا حوالي نص ساعة ونوصل، يا ريت سعادتك
تبعث لنا حد يستقبلنا في مدخل البلد، العنوان حسب الإشارة اللي جت
لحضرتك بالليل... شكرًا جزيلاً يا افندم، اسمحي لي حضرتك تبلغ العمدة
يكون موجود معانا، في رعاية الله حضرتك يا افندم.

الرقيب أول رمضان استمع إلي محادثة النقيب يوسف مع المأمور
والتي كانت بمثابة تخفيف ما أصاب اللسان من خرس وقال:

- على كده سيادة النقيب يوسف كده حضرتك خففت علينا الحمل لما يكون
معانا العمدة ومأمور المركز، بس المفروض هنقابل مين نبلاغه الخبر؟
- المعلومات اللي عندي بتقول إن والده متوفي، أمه هي اللي موجودة
وأختين بنات وليه أخ مسافر في الخارج.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، الصدمة هتبقى تقيله على أمه، ربنا يصبرها.
- يا رب، وربنا يقدرنا وننهى المهمة دي بثبات، والله يا رمضان عمري ما
تخيلت إني أكون في موقف زي ده أبدًا، قبل كده كنت في عربية مصفحة



انفجرت بقنبلة زرعوها الكلاب ع الطريق شلت منها جثث شهداء زملائي
وكان فيه مصابين، كان الوضع بالنسبة لي أخف كثير من المهمة دي.

وبلهجة أمر للسائق:

- اقف هناك يا عادل جنب عربية الشرطة، الظاهر هي اللي باعتها مأمور
المركز.

يتوجه أحد أفراد الشرطة المنتظرة بمدخل القرية مُرحبًا بالنقيب يوسف ثم
قال:

- حمدا لله ع السلامة يا افندم، لوسمحت سيادتك تيجوا ورانا لغاية البيت
سيادة المأمور والعمدة سبقونا هناك.

- أشكرك، يلا وراهم يا عادل.

- حاضر يا افندم.

سرعان ما التف الجيران وأهل القرية عن بكرة أبيهم حول منزل
الشهيد، النسوة والفتيات يبكين بحرقة وإذا صرخت أحداهن منعتهن أم
الشهيد بقولها:

- ماحدش يصوت حرام عليكم ده شهيد عريس في الجنة، لما يبجي أخده
في حضني وازغرد وأنتو ورايا، يارب الصبر من عندك ثبتني يا كريم،
اشوفك واقابلك في الجنة يا ضنايا وروح قلب أمك.

شيخ مسجد القرية يثني على موقعها ويقول:

- الله يفتح عليكم يا حاجة، جزاكي الله كل الخير ونعم الأم والمرأة المؤمنة
بقضاء الله وقدره، من منا لا يتمنى الشهادة، بسم الله الرحمن الرحيم "ولا



تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا، بل أحياء عند ربهم يرزقون"
صدق الله العظيم.

أم الشهيد في لهفة المشتاق لرؤية ومعايشة الحبيب:

- يلا يا ولاد هاتوا لي ابني احضنه وابوسه، وانا اللي هادفنه بإيدي، انزله
قبره بهدومه وابص عليه آخر بصّة، ماحدّش عارف يمكن أموت بعدها أو
وقتها ويكون آخر حاجة شافتها عينا، مش بعيد عليك يا رب تحقق لي
أمنيّتي دي، مش عايزه اعيش بعده لأنه هيوحشني يا ناس، الصبر من
عندك يا رب، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلت السيارة الجيب ونزل منها النقيب يوسف بطيء الخطوة وبدا
عليه الحمولة الملقاة على عاتقه، دخل وسط الجموع المحتشدة متوجّهاً
والقلب دليله إلى أم الشهيد وقال في صوت أنهكته الكلمات المحبوسة في
الحلق والحزن ينفها:

- البقية في حياتك يا أمي، طول خدمتي مشفتش بطل زي ابنك، افتخري
بيه وكلنا معاكي وبلدنا والله تفتخر بابنك البطل.

أم الشهيد تسأله في لهفة:

- هو فين يا ابني؟ يلا يا رجالة هاتوا البطل دخلوه البيت أقعد معاه شوية
قبل ما يتدفن، حطوه في أوضة الضيوف.

النقيب يوسف يتلثم محاولاً الثبات وحبس الدموع:

- ابنك مش معانا يا أمي، هو في رحاب الله.

الأم صوته يعلو:



- يعني إيه مش معاكم يا ابني؟ طب هيجي إمتي؟

يرد والألم يعتصره:

- يا أمي ابنك شهيد عند ربنا.

يتدخل العمدة وهو لا يعلم تفاصيل:

- أيوه يا حضرة الظابط فاهمين، بس فين الجثة عشان ندفنها ونقوم بالواجب الشرعي.

تزداد حيرة النقيب ويقول محولاً نظره عن أم الشهيد:

- يا افندم مفيش جثة.

تخرج صرخة من أم مكلومة هزت جبال الألم:

- ازاى يا ابني اللي بتقوله ده !!، يعني انتم دفنتوه عندكم؟، طب خدني اعرف قبره فين وأزوره واتونس بيه شوية، ع الأقل اروح له كل جمعة مع أخواته.

لسان النقيب يزداد ثقلاً:

- يا ماما مالوش قبر.

صرخت فيه رغماً عنها:

- يا ابني ارحمني وقولي فيه إيه؟ يعني ابني لا هو حي ولا هو ميت؟ عقلي هيطير يا ناس.

تزداد حلقة أهل القرية ضيقاً حول أم الشهيد والنقيب يوسف، الكل يسترقي السمع في حسرة وغرابة بينما نزيف الدمع لا يتوقف، هنا يتدخل

أحد الشباب الذي سبق له الخدمة العسكرية كضابط احتياط ويقول للنقيب يوسف في هدوء:

- سيادة النقيب من فضلك اسمعني، حضرتك تقصد إن الانفجار كان شديد وجاري البحث عن الجثة؟

- لأه، صحيح الانفجار كان رهيب، لكن مافيش جثة بعد الانفجار.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، تقصد حضرتك مافيش حاجة اتبقت من الجثة ولا من أشلائها.

- فعلا كده بالظبط، عشان كده بقول يا أمي ابنك بطل فوق العادة، دخل ع الانتحاري اللي كان لابس أحزمة ناسفة وحضنه عشان يحمي زملائه اللي وراه قبل ما يدخل عليهم الجبان، فدى زملائه بنفسه والأحزمة انفجرت فيه، وكان فيها مواد شديدة الانفجار تكفي لنسف المعسكر كله من أفراد ومعدات حتى المباني.

كل الوقوف من جميع الأعمار تخيل ما حكاه النقيب يوسف وصاحوا الله أكبر الله أكبر، الله يرحمك يا بطل، أم الشهيد عندما تخيلت ما سمعته سقطت مغشياً عليها.

اعتقد كل من الرقيب أول رمضان والسائق مجند عادل أن المهمة قد انتهت، فهمس رمضان في أذن النقيب يوسف بأن عليهم العودة خلال ضوء النهار حيث الطريق من وإلى القرية وعر وضيق فيه الحقول على الجانبين، نظر النقيب إليهما وقال بحزم:

- مهمتنا ما انتهت يا رمضان، لو عايز ترجع انت وعادل مافيش مانع وانا نتصرف في الرجوع.

- العفو يا افندم ما اقصده كده سيادتك، اللي اقصده ايه اللي ورانا تاني هنا مش أكثر حضرتك.

- ورانا الأم اللي كانت مرمية هنا قدامنا ودخلوها جوه، ورانا أم ابنها ضحى بحياته وقبل يتفجر، وما اتبقاش من جسمه حته عرفنا نلمها، ورانا أم لشاب كانت مستنياه ينزل أجازة تأخذه في حضنها وتقوله وحشتني يا ابني، إحنا جينا نقولها مافيش ابنك ولا حتى أثره، كل واحد فينا كان ممكن بسهولة يكون مكانه والست دي تكون أمه.

(دموع ساخنه انسابت على خديه).

بكي بشدة الرقيب أول رمضان متأثراً وقال في نحيب:

- أنا آسف يا افندم، كل كلام سيادتك صح، أنا اتخيلت أمي فيها ولو كنت مكان ابنها كنت عملت كده فعلاً، سامحني حضرتك أنا كنت عايز أبعد عن الموقف ده لان من جوايا بتقطع ومش عايز انفجر في العياط عشان البدة اللي لابسها ليها هيبتها وعلى قد ما نقدر نتحمل الوجع.

تقدم عمدة القرية ومعه نفيف من شبابها مرحبين بالنقيب يوسف ومن معه يحثهم على الذهاب إلى بيت العمدة للقيام معهم بواجبات الضيافة ثم انضم إليهم مأمور المركز يكرر لهم ما سبق سماعهم إلا أن النقيب يوسف بحزم وأدب:

- سامحوني حضراتكم، أنا عن نفسي هنتظر تفوق الحاجة أم الشهيد
وادخل أقعد معاها عايز اتكلم معاها كلمتين، لو الصول رمضان والاسطي
عادل عايزين يروحوا معاكم أنا ما عنديش مانع، اتفضلوا يا حضرات.
رد رمضان وعادل في صوت واحد:
- احنا مع حضرتك سيادة النقيب.

سرعان ما امتلأ الموقع أمام منزل الشهيد بالمقاعد الخشبية والأرائك
واقترش الحصرير والوسائد دون ترتيب بل أنه التكافل بين أهل القرية
اعتادوا عليه، الفرح لديهم هو فرح أهل القرية جميعهم وكذا الحزن
والمصاب هو مصابهم جميعاً.

خرج من منزل أم الشهيد من يبلغ النقيب يوسف أن أم الشهيد تريد
الحديث إليه، وهي الآن بخير في وعيها تحمد الله وتحتسب ابنها وحيد عند
الله فداء لوطن يستحق التضحية بكل غالي ونفيس.

ما أن دخل النقيب يوسف حيث تجلس أم الشهيد قامت وكأنها تقفز في
رشاقة مرتمية في حضنه وشلالات الدمع ما توقفت وفي صوت متقطع
مكلوم:

- حبيبي يا ابني بالله عليك تسامحني لما انفعلت عليك قدام الباب، شايفه
فيك المرحوم، ربنا يبارك في عمرك ويخليك لأهلك ويفرحوا بيك ويشوفوا
ولادك.

توقفت تمسح دموعها وتطلب من ابنتها الشاي للنقيب يوسف ثم أردفت
تقول وبنفس الوجع والدمع:

- اسمك إيه يا ابني؟

- اسمي يوسف يا ماما.

- عاشت الأسامي يا ضنايا ويحفظك لشبابك، كان ابني الله يرحمه ويجمعني بيه في الجنة يقولني إنه كان في البحر الأحمر مع إنه كان نفسه يخدم في سيناء.

قاطعها بحنان النقيب يوسف وقال:

- كلنا حضرتك بنقول لأهالينا كده عشان ما يقلقوش.

الأم تبادلته حنان الأمومة الصافي قائلة:

- كان الله يرحمه يقولني بعد ما أخلص الجامعة يا ماما واخد البكالوريوس وادخل الجيش هاكون مبسوط قوي وأنا هناك، كان متغاض قوي من الناس اللي بي فجروا هناك، كان رأيته إن دول ناس ماسحين لهم دماغهم وبيكفرونا والعياذ بالله... إنت مش هاتمشي انت واللي معاك الا ما تتغدوا معايا وهطلب منك طلب عشان خاطر أمك تنفذه ليا الله يجبر بخاطرك يا يوسف يا ابن حوا و آدم.

- تؤمريني يا أمي طلبك على راسي وفي عيني.

أم الشهيد مترددة وفي خجل:

- عايزه اعمل جنازة تليق بالمرحوم ابني وتحضرها مع زملائك ونلف ببيها البلد وكل حطة حط فيها رجله ، والنبي يا ابني تجبر بخاطري، وأوعدك مش هاتسمع صويت ولا حتى صرخة واحدة من حد وهقوم ألبس أبيض وأخلي كل نسوان البلد وبناتها يلبسوا أبيض، قولت إيه يا ابني؟

- محاول يا أمي، هاكلم قياداتي وربنا يوفقني، أستاذك يا أمي أطلع أكلهم في التليفون بره البيت.

- لا يا بني أنا والتي معايا هانخرج ونسيبك تتكلم براحتك.

روح الحماس وقوة الإقناع لدرجة الرجاء كست كل جوارح النقيب يوسف وبالهاتف يتحدث:

- أيوه يا افندم، كلي أمل موافقة سعادتك إن يتعمل جنازة عسكرية للشهيد المجند اللي حضرتك كلفتني بمهمة إبلاغ أهله باستشهاده... ألف شكر سيادتك... تمام حضرتك... فعلا ده طلب أمه وعندها أمل في الموافقة، يبقى رائع وموقف إنساني من سيادتك... يعني حضرتك هتكلم أقرب وحدة عسكرية من هنا بيعتوا عساكر يضربوا طلقات تحية الشهيد... منتظرهم حضرتك... شكرًا يا افندم ألف شكر... تمام سعادتك... حاضر يا افندم، في أمان الله حضرتك.

انفجرت أسارير النقيب يوسف وسارت في جسده لحظة انتعاشة خفت ما ألم به وبدأ ينادي:

- يا ماما... يا ماما عايز حضرتك لو سمحتي.

دخلت أم الشهيد مرتدية عباءة بيضاء كلون قلبها ونقاء إيمانها بالله وبالوطن الذي ضحى فلذة كبدها بحياته لأجله، لمحت في عين النقيب السعادة فقالت:

- طمني يا ابني وافقوا؟

- ايوه يا ماما، الحمد لله وها يتعمل لابن حضرتك جنازة عسكرية كما يجب.

حاول النقيب يوسف أن يتمالك ويصمد إيداء مشاعر الموقف المهيّب فذهب ليلتقي بمأمور المركز الجالس وسط حشد أهل القرية وانتحى به جانباً وقال له:

- سعادتك أنا اتصلت بسيادة العميد إن يتعمل لشهيد البلد جنازة عسكرية وسيادته وافق وفي الطريق عساكر بأسلحتهم يقوموا بمهمة ضرب ٢١ طلقة تحية الشهيد عند المدافن، وكلفني أبلغ سعادتك تجهيز الجنازة بكل تفاصيلها.

كان مأمور المركز سعيداً بهذا التكليف والمعنى فيه، نظر بإعجاب للنقيب الشاب وقال:

- حالاً كل حاجة تتم كما يجب، على صلاة الظهر هانقوم بصلاة الغائب وبعدها تتم الجنازة إن شاء الله.
- أشكر سيادتك لتعاونك المتوقع.
المأمور بتواضع:

- ده واجبنا واللي زي الشهيد أغلى من ولادنا، عن إنك أكسب الوقت وأروح أجهز بنفسى كل حاجة.
- شكراً لحضرتك للمرة الثانية يا أفندم، ثم قبض على يديه بمودة وإعجاب له التحية.

قام إمام مسجد القرية مخاطباً الجموع بما لديه من معلومات أفضى إليه بها

جناب المأمور والعمدة :

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" بإذن الله تحين صلاة الظهر بعد قليل نصليها ثم يعقبها صلاة الغائب على الشهيد ابننا وابن قريتنا، الذي نال الشهادة بعزة وشرف ما هاب الموت بل تصدى لمن يحملون الموت حول أجسادهم غير مباين بشرع الله وسنة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، تصدى لهم حامياً أرواح من معه كما أمره رب العزة جل وعلا، نال الشهادة بنفس راضية مرضية لينعم بوعده الله ووعد الحق أن يظل حياً عند ربه يرزق وينعم بجناته.

أهالي البلد الكرام من يملك منكم سيارة يتحرك بها بالبلاد المجاورة يعلن عن صلاة الغائب وحضور جنازة شهيد القرية وفخر شبابها الذي ضرب المثل في الفداء والتضحية، نريد بإذن الله جنازة تليق بالشهيد ... والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تحرك معظم الرجال والمكالمات الهاتفية من أهل البلد لكل من يعرفونهم خارجها يدعوهم لحضور الجنازة وصلاة الغائب، وتحركت السيارات والميكروباصات من البلد لإحضار أهالي القرى المجاورة، بينما كان دور سيدات القرية الذي اعتادوا القيام به في المآتم أن يقمن بإعداد الأطعمة من أحسن ما في بيوتهن من أصناف لاستضافة المعزين الوافدين على قريتهم للقيام بواجب العزاء والمشاركة في جنازة الشهيد ابن قريتهم الشاب.

ما زالت الأم صامدة والثبات على وجهها إلى أن أتاها النقيب الذي شعر بها كأم له وأخذ بيدها قائلاً بمودة:

- يلا يا ماما الجنازة هاتتحرك من هنا قدام بيتك، كلنا مستنيين حضرتك، يلا قومي معايا، حاسس بيكي والله، يلا يا أم الشهيد زغرطي وافتخري بابنك اللي عمله كبير وكثير عند ربنا وعند الناس كلها.

خرجت الأم الصابرة بعون من مولاهما وسط ملاحظة ومتابعة لخطواتها من أهل القرية الذين افترشوا جميعاً أمام منزلها.

شاركت الطبيعة جنازة أدمت فيها القلوب النقية بنسمة هواء تلمس الوجوه المحترقة حزناً، برغم أنه وقت الظهيرة إلا أن الشمس كانت حنونة تتألم والدمع يتساقط شلال يخفف حرارة أشعتها الحارقة في هذا التوقيت.

سيارة مطافئ أمام المنزل يقف فوقها جنديان يحملان باقتين كبيرتين من الزهور تسير ببطء، خلفها مجموعة الجنود حاملي الزهور، خلفهم المسؤولون على رأسهم المحافظ الذي أتى فور علمه وبجواره أم الشهيد برفقة النقيب يوسف، خلفهم رجال وشباب وأطفال القرية وكل أهالي القرى المجاورة تقريباً، خلفهم النساء والفتيات في زيهم الأبيض كما القلوب حين الخطب يطلقن الزغاريد كما أوصتهم الأم المكلومة، بعض الشباب قاموا برسم صور للشهيد عليها شريط أسود داخل باقات زهور كقلب الفتى.

انطلقت بعض الحناجر والقلوب معها تصرخ "لا إله إلا الله.. الإله .. الشهيد حبيب الله، لا إله إلا الله.. الإرهاب عدو الله".

الفصل الثاني



ضمن ظهر بقاع أرض الله قاطبة الحبيبة سيناء موطن الخليل إبراهيم أبو الأنبياء، ونبي المحبة عيسى مع أمه مريم العذراء، وموسى بن عمران عليه رضا الله والثناء، شكلت هذه الأرض المباركة قيمة وحالة روحانية لدى المصريين غرقوا فيها وغرقت فيهم على اختلاف عقائدهم ودياناتهم، فما من مصري على مر العصور إلا وسالت دماء أجداده وبلده للدفاع عن رملها الفيروزي المقدس.

تتعاقب الأجيال والعقيدة ثابتة لدى المصريين تجاه أرضهم عامة وسيناء خاصة بعد احتلالها تسع سنين، أرضهم عرضهم؛ فكيف لمصري أن يفرط فيه، فالعقيدة لا تتجزأ أو يتم التهلون فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا غربة فيما قرأناه وسمعناه عن بطولات فوق العادة تصل لحد الخوارق من أولادها فوق ترابها تمت بوقود العقيدة الراسخة داخلهم نحو العريزة سيناء.

لا غربة حين نسمع تسابق رجال القوات المسلحة على اختلاف رتبهم ودرجاتهم والمدنيين أيضاً يتسابق الجميع للخدمة فيها والقيام بواجبهم

بالدفاع عنها وتقديم أرواحهم طواعية ويرون أنه القليل، الالفت للنظر أن هذا كان ومازال منذ عصور الفراعنة حتى يومنا هذا، يفرح المجند وقت اختيار أرض الفيروز كموقع لخدمته العسكرية، ويعتبر هذا سرّاً لا يبوح لأحد به خاصة أهله؛ لسرية المهام هناك في المواقع المختلفة وأيضاً حتى لا يصدّرون القلق لهم، ومن وراء هؤلاء الرجال أمهات داخل البلاد كل واحدة منهن "الخنساء" التي قالت لما ابْلِغوها استشهاد أولادها الخمسة "الحمد لله الذي شرفني بموتهم وأرجو أن يجمعني بهم يوم القيامة".

موقع عسكري قرب مدينة الشيخ زويد في قلب الصحراء مترامية الأطراف عبارة عن مبنى من المسلح أرضي ودور أول، بالدور الأرضي مخازن العتاد والمعدات وأيضاً مبيت لعربات القوة المجنزرة، أما الدور الأول ففيه مطعم صغير وحمّامان وغبران للمبيت من ضباط وضباط صف وجنود.

المعسكر هذا بمحدودية مساحته وتسليحه وعدد أفراد له مهمة محدودة أيضاً هي تمشيط نطاق محدد من الخارجين عن القانون وخوارج العصر الحديث ممن يطلق عليهم لقب تكفيريين وإرهابيين بينما يطلقون على أنفسهم المجاهدين وأسماء أخرى فيها التفخيم والتعظيم حتى يوحى لمن يسمعها أنها بُنيت وتأسست على حق وهو الباطل بعينه.

على بعد ما يقرب من ثلاثمائة متر يوجد حوش (منزل) "سالم" فلسطيني المولد والجذور، لكنه يحمل بطاقة رقم قومي أنه مصري المولد والأصل في وقت فراغ أمني تم استغلاله بواسطة قيادات لا يؤمنون بواجباتهم تجاه وطن شربوا من ماء نيئه وأطعموا من نتاج أرضه الطيبة، هؤلاء الجاحدين ساعدوا "سالم" وآلاف مثله على استخراج بطاقات الهوية المصرية ومصر منهم بريئة، بل تزييف أيضاً لأوراق تثبت حيازته لأرض منزله ومزرعته عن أجداده السابقين، المقصود من هذا الزيف إبعاد هؤلاء عن الملاحقة الأمنية أو حتى مراقبتهم، هذا الأمر سهل لهم القيام بعمليات دنيئة فوق أرض سيناء الطاهرة وقد تمتد للعمق داخل البلاد.

سالم متزوج من امرأة جذورها تنحدر من عائلة بسيطة حد الفقر من محافظة الشرقية أهل الجود والكرم، أنجبت له حميد وعبله وسليمان، اعتاد سالم في علاقته بـ"شيماء" زوجته التعقيم على تصرفاته ولا يسمح لها مجرد الاستفسار عن أي أمر تلاحظه صغيراً كان أم كبيراً، إلا أنه يوفر لأسرته احتياجاتها بسخاء ويذكرهم دائماً بفضلها هذا عليهم بمناسبة أو بدون، يمتلك سيارتين إحداها ربع نقل والثانية مرسيدس خاصة، وعلى حد قوله لهم أنهم يكفيهم توفيره لهم مسكن حديث من دورين، مفروش بالأثاث الحديث وكافة الأجهزة، حوله مزرعة زيتون وأشجار الرمان والخوخ، وأن لديهم بئر مياه خاص بأسرته وحدها تم حفره في منطقة منخفضة وماؤه عذب حسب التحاليل.

لا يكفيه هذا امتلاكًا بل يمتلك عشرات الرؤوس من الأغنام والماعز
وبضع من النوق والجمال يستعين بهم على قضاء حوائجه وله فيها مآرب
أخرى، مع ذلك ما عرف الله حمدًا ولا شكرًا على نعمه التي أنعمها عليه،
وما ذكر للبلد التي تأويه فوق أرضها وتحت سمائها بل يلغنها لغات لا
يوقفها إلا خجلًا من اعتراض الزوجة بقولها:

- كفاياك يا سالم، احمد ربنا فيه ناس ملاجياش الوكل ولا شربة مي، وفيه
ناس ماليا بلد ومتشنتة في بلاد الله.

حينها يفهم مقصد القول منها أنه وأهله من اللاجئين في بلاد الله شرقًا
وغربًا ثم يقول سالم:

- اقفلي خشمك يا وليه، البلد دي تي اللي شايفها زينة بتقتل ولادها وابقي
اشبعي بيها.

ينتهي الحوار بينهما كل مرة ببعض الصفعات واللكمات كأنها عدو
مبين ولا حرج هذه القسوة يشاهدها أطفالهم مع صراخهم وبكائهم الذي لا
يهز لأبوهم رمش.

معسكر المراقبة العسكرية بالشيخ زويد والمكلف بتمشيط منطقة
محددة له للبحث عن الخوارج والخارجين عن القانون يتألف من قائد برتبة
مقدم هو "محمد عبد الرازق"، هو قاهري الإقامة متفتح خبير بالأعمال
القتالية وحاصل على دورة أركان حرب يتعامل مع الجميع بتقدير واحترام
أيا كانت رتبة من يتعامل معه، قوي الشخصية حازم ومنضبط جدًا في

العمليات التي يقودها، متزوج ابنة خالته التي تقدر ظروفه وترعاه غياب حضور فهي حبه وهو حبها ولديهما طفلان، كل يوم يذهبان لصورة أبيهما يؤديان له التحية العسكرية صباحاً منتظرين اللقاء به مع إجازاته الغير منتظمة.

نائبه الرائد أركان حرب "حسن مصباح" من مدينة بورسعيد، كفاء وغيور على المعسكر بأفراده جميعا، لا يتوانى في جعل المعسكر وأفراد قوته في قمة الأداء الذي يشهد به القادة جميعاً، في نفس الوقت إنساناً رحيماً بهم وقتما يتطلب ذلك علاوة على بشاشة وجهه حتى عند إصدار التعليمات العسكرية الصعبة، لم يجد من الفتيات التي يرى فيها الصبر على طبيعة عمله، دائماً يقول لأمه: "عايز نسخة منك يا ست الكل إن لقيتي انا موافق"، يهوى كرة القدم ويمارسها ويشجع النادي المصري البورسعيدي بحماس. ويعاونه في أداء مهامه المنوط بها النقيب "يوسف موافي" من محافظة الشرقية، حازم جداً في كل أوقاته يصعب عليه البسمة خشية التراخي من أفراد قوته وبغية النجاح في كل مهامه معهم، رياضي كان بطلاً للمصارعة وحصل على جوائز محلية عديدة، يحب النظافة فوق العادة والزرع خاصة الزهور، لذا كان يحث الجندي المنيأوي "أوزوريس" على زراعة الياسمين والنعناع ويشترى له الشتلات التي تنتج أشجار مثمرة، كل قصة حب جميلة مع فتاة يغار القمر من حسنها ليلة بدر تمامه بالتقدم لخطبتها منذ شهرين وأخواته جهزوا له منزل الزوجية متعاونين حتى تحين فرصة إجازة يتم فيها الزفاف.

بأقي قوة المعسكر الصغير الرقيب أول "رمضان شعبان" مساعد تعليم السرية من مواليد بنها ومقيم فيها، متزوج وله ابنتان، يعيشون مع أمه تحت سقف واحد المعيشة مشتركة يناشد زوجته وابنتيه رعاية أمه بلا حدود فهي ليس لها سواه بعد رحيل أخوته عن بنها إلى خارجها سواء داخل مصر أو خارجها بالدول العربية للعمل، والأم بدورها تقدر له الجميل وتشبعه دعوات طيبات طاهرات في جميع الصلوات وتنتظر ليل نهار حصوله على إجازة تأخذه فيها في حضنها، رمضان من جانبه يقدر فضل أمه عليه وعلى أسرته.

المنزل الذي يسكنه في الأصل منزلها وحدها لكنها آثرت مشاركة ولدها رمضان لها فيه يقينا أنه طيب وحنون ويستحق منها العطاء، فهو الأقل حظًا في التعليم كما تقول ويستحق الرعاية، ومن جانبه يؤمن بمقولة "طول ما أنت معاك أمك تبقي لسه ماخسرتش أي حاجة ف الدنيا".

"نصر فرغلي" من أسيوط ويعد بشاويش السرية، مسئولياته جسام من تمام حضور وانصراف القوة من الجنود وصف الضباط الأقل رتبة منه وأحوالهم وتوزيع الخدمة والحراسة على مختلف مواقع المعسكر، تزوج مبكرًا فأصبح له أولاد في التعليم الابتدائي يتكفل برعايتهم وأمهم، أهل زوجته يرعون أسرته برضا ومحبة فهي وحيدتهم، يحاول دومًا تعويض الجميع تقصيره في البعد عنهم حين وجوده بينهم في إجازته القصيرة التي لا تحقق له ما يود فعله تجاههم.

ثم العريف متطوع "عوض خليل" ما أن أنهى دراسته بمعهد ضباط الصف تقدم لخطبة ابنة الجيران واتفقا على إتمام الزواج في منزل أبيه الريفي بقرية دماص دقهلية، وهو شاب طموح مطيع منضبط يحلم بالترقي إلى الدرجات الأعلى حتى رتبة مساعد وربما إلى رتبة ضابط كما حدث مع عمه عبد الحفيظ قدوته في الحياة، لذا هو مستقيم ومحبوب من الجميع ووالديه يحبونه حباً جماً ويتعاطفون معه ويساعدونه على الادخار حتى يبني له بيتاً من عرق جبينه على حد قولهم.

العريف مجند "مجدي عبد الفتاح" صاحب صوت عذب، يهوى الغناء وخاصة عمالقة الطرب فريد الأطرش ومحرم فؤاد وغيرهم، ينتهز الفرصة للترفيه عن زملاؤه فرادى أو أكثر وقت راحتهم، فيغني لهم ما يحب أن يطلبه المستمعون، باقي على انتهاء مدة تجنيده التي زادت عن ثلاث سنوات حوالي ثلاثة شهور ليحقق أمله في الحياة المدنية بالعمل مع فرقة غنائية لأحياء الأفراح بالمناطق الشعبية بالإسكندرية الذي يسكن في "باكوس" إحدى أحياءها.

على مقربة لا تتجاوز ثلاثمائة متر من معسكر هؤلاء الرجال هناك من الأحداث تدور في منزل سالم فلسطيني الأصل والمولد والمصري بالتزوير، لاحظت شيماء أن هناك تحركات مريبة تحدث في منزلها يقودها زوجها سالم، ذلك بوصول سيارات نصف نقل محملة بالمواد الغذائية متنوعة يتم تخزينها بغرفة نوم الضيوف بالدور الأرضي، يتم هذا ليلاً في جنح الظلام،

عندما أشرقت الشمس نظرت من نافذة الغرفة وجدت كل البضاعة المحزنة قد اختفت بأكملها، عندما سألت زوجها سالم أفادها مكفهر الوجه بعصبية: - إيش فيه؟ وإيش دخلك في هذا؟ هذا شغل تجارة فكرك من وين نصرف عالبيت يا مرة.

- لكن ما حسيت إن حد جه خدها من اهنة.

تزداد نبرة صوت سالم حدة وانفعال:

- الليل ستار راحت لأصحابها، إيش تنقري في الحديث؟ ادخلي سوي الوكل وبطلتي زرزرة.

- يا سالم اشبيك؟، تلاقيك بتعمل حاجة شينة وتبينني ما اعرفها، بقولك إيه إيش ودك؟ تريد ما ادري شي؟

- ديني وما أعبد إن سمعت منك شي احطك في جورة وأردم عليك، غوري من إهنة يا وليه.

- اللي تبيه يا راجلي.

أصبحت شيماء خطراً على نشاط سالم المشبوه، خاصة أنها اكتشفت أن هناك سيارات محملة بكراتين بدت لها مواد غذائية ليلاً وعند الصباح اختفت البضاعة وما رأت ولا شعرت أن هناك من أتى لتحميلها أو رفعها من غرفة نوم الضيف الذي يستخدم مخزن، وما ثبت شكوكها أن هذه الغرفة تحديداً يغلقها سالم دون غيره وما أحد سواه لديه مفاتيحها وهو من يقوم بتنظيفها، الأغرب من ذلك أنها مرات ترى أناس أغراب يصفهم سالم

أنهم رجال من معارفه جنَّ عليهم الليل فقام واستضافهم في غرفة الضيوف
هذه ثم يرحلون دون حتى انتظارها إعداد طعام الغذاء لهم!!!.

باقي قوة المعسكر من الجنود هم توليفة جمعهم خدمة الوطن والزود
عنه حتى إن كان الثمن أرواحهم وهم حسب الأقدمية "أوزوريس" من أحد
قرى المنيا، مزارع حنون القلب كحنان الطين على الزراعات الأرضية
ضعيفة الجذور يحتضنها خوفاً عليها، مشكلة أوزوريس هذا الاسم
الفرعوني، فالكثير ممن قابلوه لا يعرفون الأسطورة الفرعونية الشهيرة
التي سطرت على المعابد تعلن مدى عزيمة إيزيس في البحث عن المحبوب
أوزوريس الذي تم تقطيع جسده حقداً وتم إلقاء أشلائه في نهر النيل
العظيم مصدر خير ومهمتها الصعبة في تجميع الجسد الممزق من شمال
النهر حتى جنوبه.

الغريب أن الجندي أوزوريس نفسه لا يعرف لهذه الأسطورة مفهوماً
للرد على سائله، ويزيد البعض من تندرهم بلهجته المنياوية التي يسهل
تقليدها بمد بعض الحروف، عندما يحصل أوزوريس على تصريح بالإجازة
سعادة تسري بين زملائه المجندين حيث كرم أهله بتحصيله ما لذ وطاب له
ولزملائه ما بين الطيور والفطائر والجبن مع القشطة من خيرات منزل أم
أوزوريس الكريمة.

"وحيد عبد العاطي" حاصل على بكالوريوس التجارة شعبة محاسبة
وهو الأحداث في الجنود المنضم حديثاً للمعسكر، له شقيق مهندس

وشقيقتان أنهوا دراستهم الجامعية، الأم أرملة متعلمة أفنت عمرها في رعاية أولادها اليتامي أيما رعاية وتشغل منصب رئيس وحدة القرية، وحيد يمثل لها شريان الحياة بحنانه وطيبة القلب فيه، فما عصى لها أمراً وهو البار بها وشقيقتاه إلى أن التحق بالخدمة العسكرية الوطنية، يقضي معهم إجازته القليل مودة لا تنقطع حتى إن عاد إلى معسكره بانتهاء إجازته التي لا تكفي تعبير كل منهم عن حبه تجاه محبوبيه.

ضمن القوة جندي مجند "عادل جاويش" كان يعمل لصاً محترفاً بالمواصلات العامة أتوبيسات ومetro، من محافظة الجيزة، يقطن بشارع فيصل متزوج ولديه طفلة، لا يعلم سرّه أحد سواه، اعتاد مغادرة منزله في مواعيد الموظفين والعودة أيضاً معهم، وإذا كان مفلساً يعمل في العطلات الرسمية قائلاً لأهله أنه منشغل في عمل إضافي مضاعف الأجر وهذه أوامر مديره، حيث عمله فرد أمن في جهة حساسة لا يجب الإفصاح عنها، لما أصيبت ابنته الوحيدة بمرض سرطان الدم توقف عن السرقة وأدى هذا إلى أنه يتوب توبة نصوحة لله ويتحول لعامل بناء يعمل لدى مقاول باليومية.

السائق "عادل عسران" سائق قائد المعسكر والمنوط بكافة الخدمات المتعلقة بتحريك السيارة الجيب، قليل الكلام عذب اللسان ذكي جداً ومهذب، هو أصغر أشقائه، من دمنهور بحيرة، يعمل سائق ميكروباص بين دمنهور والأسكندرية، وكان يربح ربحاً وفيراً طبيباً كل أمله أن يعود لمهنته حتى

يحقق طموحه كشاب يؤسس له عائلة له بعيداً عن منزل أبيه قاسي الطباع على الجميع من أسرته.

تبقى لنا من القوة جنديان، أحدهما جندي مؤهلات عليا "حسين صبحي" خريج آداب القاهرة، يكتب الشعر والقصص القصيرة، رومانسي حالم له حبيبة تنتظره للزواج بعد انتهاء مدة خدمته العسكرية، لا يحب الإزعاج ولا هو مزعج لأحد، عندما ينفرد بنفسه يكتب قصائد للحبيبة المنتظرة في الإسماعيلية، يناجيها ألا تنسى حبه، فما هي إلا شهور قليلة ويعود إليها لتسمع الدنيا معها قصائد الغزل العفيف السابح في سموات العشق النابض بين النجوم، تأتي بعدها رياح طيبة تسير بسرعة أمر الله لها حيث مخدع العاشقين، تتساقط حينها حبات مطر المودة غزيرة الأشواق بعد لهيب الانتظار، تستقبلها أرض خصبة تستقر فيها بذور الأمل تنتج زرعاً أخضرًا استوى على الحب الكامن فيها يعجب الزراع وذويهم.

تبقى لنا شخصية جندي مقاتل "عارف موسى" سواهجي النشأة والإقامة، من يطلق على نفسه أنه "الفقري" بلا منازع، عديم الحظ في الحياة منذ مولده، ماتت أمه أثناء ولادته، وتربي في شوك أحضان زوجة أبيه التي تسعى دائماً منذ زواجها بأبيه بعد أقل من شهرين بعد ولادته إخماد أي طلب له وتفضيل أولادها السبعة أشقائه من الأب في كل تفاصيل التربية، أهمها الحنان والتعلم ثم التوجيه الصحيح، حتى فلت عياره كما يقولون عنه في قريته وأصبح لا يبالي، يفعل ولا ينتظر النتيجة والتي غالباً سيئة وأحياناً مخزية، خفيف الروح يحب الضحك وإن كان القلب دائماً يبكي

حين الدوران لذا يهوى تجميده، فشل بالطبع في التعليم فهو يكره الانضباط ويرحب بالعقاب ضاحكا قائلاً: أنا الفقري وإيش ياخذ الريح من البلاط. التسبب وعدم الانضباط ليس له مكان في الخدمة العسكرية لذا كان وسيبقى معرضاً للتكدير والجزاءات من قيادته رغم أنه محبوب لمواقفه الإنسانية العالية والعفوية وقت الجد.

حياة هؤلاء الجنود ومعهم مجموعة أخرى يشبهونهم كثيراً في نواح عديدة يخدمون في المعسكر ذاته، هي اختبار حقيقي لمدى تحملهم المسؤولية والاعتماد على الذات مع سرعة التصرف وقت الشدائد مع إطاعة أوامر القادة وتنفيذها دون مناقشة أو تردد، فهم الأدرى بالخطط وكيفية تنفيذ المهام.

من سوء حظ الجندي "وحيد عبد العاطي" المرحل من مركز التدريب الأولي داخل الدلتا إلى هذا المعسكر بسيئات، أن يكون أول من يلتقي به زميله الجندي الأقدم خدمة "عارف موسى" الفقري بلهجته الصعيدية حلوة النغمة ينطق فيها حرف القاف (جيم) وحرف الجيم (دال).

عارف يتفحصه بنظرات طويلة ويلف حوله ثم يسأله وقد رسم ملامح الجدية على وجهه:

- اسمك إيه يا عسكري؟

وحيد ينظر إليه بثقة وغبابة ولا يرد، يلاحقه عارف قائلاً:

- كمان ماعارفش اسمك يا بلدينا وه وه وه!! دا انت أيامك طين هنييتي يا ولدي.

- بقولك ايه يا دفعة مش ناقصاك وابعد عني.
- لا ها انت ماتعرفش الاجدميات في الديش؟ هاعذرك دجيه ومش هاكدرك،
لا هاجولك تسعة ولا ستة استعد، هاجولك بس تلف حوالين المعسكر ديتي
سبعين تمنين لفة وتردع تجدم لي التحية العسكرية، ولا اجولك أجف على
ضماغك ونادي علياً وجول : عارف موسى الفجري خمسين مرة.
وحيد مبتسماً بثبات:

- هو انت اسمك عارف موسى؟
- نهارك أبيض عرفت اسمي كمان؟ يبجي أكيد بتجرا جرائين ومدلات،
وعلى إكدّه بيكتبوا عارف موسى إكدّه حاف من غير رتبة؟ ها هو ها
هوها.

وحيد لا يبالي كثيراً بتهريج عارف ويسأله :
- انت قديم إزاي؟ بقالك خدمة قد إيه ولا انت متطوع ؟
- أنا اهنه قبل أوزوريس بتلات شهور، شوف انت بجه يعني جبل الفراعنة
اللي في مركز أخميم عندينا.
صوت عال خشن ينادي:

- اجمع السرية، اجمع يا عسكري انت وهو.
عارف يمثل إنه منزعج وقال للجندي المستجد:
- نهار أغبر أهو ديتي الصول رمضان اللي صوته داموسة عشار، هيخليك
تصوم طول خدمتك، يلا ندمع قبل عيد الضحية بدل ما يدبحك، لو سالك

اتأخرت ليه يا عسكري تجوله السبب العسكري عارف وأنا هنا داديد ومش
عارف الطريق طوالي تلجى نفسك طاصص سبعة حبس ها هو ها هو ها.
يعلو صوت الرقيب أول رمضان صارخًا فيهما:

- تأخرت ليه يا عسكري انت وهو؟

رد عارف موسي:

- يا حصول العسكري ديتي داديد.

يقاطعه الصول رمضان بحزم:

- عندي تمامه يا عسكري، يلا ادخل الصف يا عسكري وحيد.

يرد عارف بغفوية:

- أها يا حاصل الغريب أعمى ولو كان وحيد.

صرخ الصول في عارف والجميع:

- امنعوا الضحك، وانت يا عسكري عارف بعد الطابور استناني عند مكتبي.

عارف بصوت عالٍ مع رفع يده.

- تمام يا افندم.

الفصل الثالث



تم تجميع أفراد قوة المعسكر ولتنام عليهم تمهيداً للقائد شبه لدوري بجميع الأفراد سيادة المقدم أركان حرب محمد عبد الرزاق، ذلك بعد أداء مساعد لتعليم التحية العسكرية لسيادته بولتنام وانتظار أوامره، يرد سيادة المقدم التحية ثم يأمر الجميع للوقوف في وضع "استرح" وبدأ حديثه:

- مساء الخير يا رجلة، الحقيقة أنا مبسوط من استعدادكم دائماً للعمليات والمهام المكثفين بيها بس برضه عايز أفضل، ده طبعاً بفضل نشاط سيادة لرائد حسن مصباح رئيس العمليات (يلتفت للرائد حسن) الذي بدوره يقدم له التحية العسكرية ويرد:

- واجبي يا أفندم.

عاد القائد للحديث:

- طبعا انتم عارفين لوضع اللي إحنا فيه والأمور بتزيد شراسة من العدو اللي إحنا اصلا مش شايفينه، عدو جبان بيستخدم الأففاق تحت الأرض

وبيشغل بالليل يزرع الألغام في الطرق وعمره ما واجهنا لأنه عارف لو واجهنا هانخلص عليه مهما كان تسليحه... عشان كده يعمل أعماله الجبانة ويختفي زي الفيران، ده بيخلينا دايماً مستعدين في أي لحظة لأن في كل مرة بيعمل حيلة وينفذ عملياته ويهرب وسط المدنيين أهالينا... وهو عارف إننا مقدرين حرمة المساكن واللي فيها... وقتها نتوقف عن الملاحقة.

فيه مهمة النهارده تفاصيلها مع سيادة الرائد حسن والمجموعة اللي يختارها للمهمة، عندي ثقة كبيرة في كل فرد فيكم، ربنا معاكم وشكراً، حد عنده مشكلة يقولها حتى لو شخصية أنا جاهز اسمعها.

يرفع المجند الجندي عادل جاويش اللص التائب يده، فأعطاه القائد الإذن له بالحديث فقال:

- أنا سيادتك جت لي رساله من مراتي إنها على وشك إنها تولد الأسبوع الجاي وأنا لسه على إجازتي الشهرية ثلاث أسابيع، وعندي بنت عندها سرطان في الدم بعيد عن السامعين، وجودي جنبها ضروري سيادتك عشانها وعشان البنيت المريضة.

رغم تأثر سيادة المقدم محمد بما سمع إلا أنه قال:

- أنا ما عنديش مانع إنك تبدل إجازتك مع زميل ليك يكون عليه الدور ويبقى بعد كده ينزل مكانك، إنتو عارفين إن إحنا في حالة طوارئ بدليل إنكم نايمين قائمين بالشدة والسلاح ليل نهار، فيه حد ممكن يبديل إجازته مع عادل؟

موافقته، ما يعني تجميد العقل فيهم ونعمة التفكير أزالها منهم، حتى توزيع العمل قراره الأوحده، الزوجة شيماء شرقاوية الأصل جميلة الملامح والقدر، ومعها ابنتها "عبلة" ذات الثمانية أعوام عليهما القيام بشئون المنزل ذو الدورين وبالطبع إعداد الطعام وما شابه، إضافة إلى العناية بمزرعة الزيتون والفواكة من كل الجوانب، تعمل الزوجة وابنتها الطفلة طوال النهار دون كلل ولا توقف حتى رعاية الطفل سليم ذو العامين موزع بينهما.

أما الابن الأكبر "حميد" ذو الاثنى عشر عامًا فهو مكلف برعي الغنم والماعز ومعهم الإبل، لا يعرف معنى ألعاب الأطفال ولا تصرفات الصبية ولا يفهم للترفيه عنواتًا ولا يفكر بطموح الصبية، بل جفت الشفاة وماتت فيهما البسمة، اللهم في النفس المعتلة أمر واحد هو الترقب الحذر من رد فعل أبيه تجاه عمله اليومي دون راحة.

أصبح لون الرمال الأصفر الذي يعبر عن الشقاء هو اللون المعتاد والممل في عينيه الزرقاوتين، لا حديث له إلا مع كلب الحراسة الذي يصاحبه أثناء الرعي، عند عودته من مناطق الرعي التي حددها له أبيه سلفًا مؤكدًا عليه ألا يحيد عنها، صديقه كلب الحراسة رأي أنثى بعد حرمان فترك حميد والماشية وطار إليها شوقًا، أخذ حميد يصرخ مناديا عليه العودة ولا حياة لمن ينادي، هذا جعل حميد بعقل الصبي ترك الماشية التي تعرف طريقها للمنزل وظل يعدو وراء الكلب قائلًا بصوت عالٍ تائه في جوف الصحراء متخطيًا مدى البصر:

- عود يا عنتر عود، عود يا مجنون.

خفة وسرعة حميد جعلته يقترب من صديقه عنتر وفجأة انفجر نغم أرضي في الكلب الذي يسبقه بخطوات، فيطير في الهواء لأعلى بقوة ويسقط بلا حراك، بينما حميد أصابته بعض الشظايا، صراخ حميد وبكاؤه على الكلب وليس من الألم، أنه صديقه الوفي الذي لقي مصرعه أمام عينيه، لم يستطع التحرك نحو الصديق الوحيد فالجرح ينزف من ساقيه بشدة والألم يزداد لهيباً.

الرائد حسن مصباح في هذه الأثناء يقوم بمهمة استطلاع قبيل المهمة الليلية المكثف بها اليوم مع قوة مختارة من أفراد المعسكر محددة التفاصيل فسمع صوت الانفجار، أمر سائق السيارة الجيب عادل بالتوجه فوراً ناحيته، وجد الصبي حميد ملقى على الرمال يتألم باكيةً والدماغ تنزف بغزارة من ساقيه، على الفور يأمر السائق بالتوقف والنزول، يحملان حميد بالسيارة متوجهين به إلى مستشفى الشيخ زويد لإنقاذه ومصاحبتها له للعلاج.

طبيب الطوارئ طلب منهما ضرورة وجود دم من فصيلة حميد، بادر الرائد حسن أن فصيلة دمه "O" وعليه تم التبرع بدمه لإنقاذ الطفل الذي أريق دماؤه دون ذنب ارتكبه، لما استرد حميد وعيه واستطاع الكلام سأله الرائد حسن مصباح عن رقم هاتف والده إن أمكنه، فأملاه الصبي رقم هاتف أبيه المميز سهل الحفظ، طلب هاتف أبيه ليبلغه حالة ولده حميد:

- الأخ سالم.

- أيوه مين انت؟

- أنا الرائد حسن... ابنك في المستشفى، تعالى عشان تتابعه بس حالته الحمد لله كويسه بعد ما جبناه هنا بعد اللغم اللي انفجر فيه.

- طيب توا نيجي، وانت بتشتغل وين يا اخينا؟

بحزم هادي:

- اسمها حضرة الظابط، أخينا دي في الزريبة عندك، بقولك تعالى بسرعة شوف ابنك، يلا سلام.

مرت ساعة قضاها سالم في التناحر مع زوجته أم حميد في عدم رغبته أن ترافقه للاطمئنان على ابنها البكري، وهو يرفض بدعوى أن الولد بخير وهو ذاهب ليحضره المنزل على حالته وأيام يتعافى فيها فلا داعي لحضورها، أخذت شيماء تتوسل إليه حتى وافقها على مضض، ووصلا معاً حيث يرقد حميد ويقف بجواره الرائد حسن مصباح والجندي عادل سائق السيارة التي تصحبه في مهمته، نظر سالم إلى الرائد حسن نظرة فيها غل واضح ثم قال:

- كك انت اللي كلمتني في الهاتف؟

نظر اليه سيادة الرائد نظرة حادة وقال:

- أيوه أنا فيه حاجة؟

- ما في شي.

داعب الرائد الصبي المصاب حميد وقال له في ابتسامة المودة:

- مش عايز حاجة يا بطل؟ شد حيلك تقوم بالسلامة -أخرج من جيبه ورقة بخمسين جنيه- وقال:

- مافيش فرصة اجيبك حاجة حلوة خد هات اللي يعجبك.

غضب سالم وقال منفعلًا:

- خد فلوسك معاك يا اخينا مش محتاجينها.

- قولتك قبل كده اسمها حضرة الطابط وتقول أخينا دي في الزريبة للي

شبهك، مفهوم؟ وعمومًا تقديري لابنك وحالته وأسرتك اللي معاك هافوتك

وأمشي، يلا يا أستاذ عادل نمشي من هنا.

- حاضر سعادتك يا افندم.

مشى كليهما بينما تلاحقهما نظرات الحنق من سالم وإعجاب من

شيماء زوجته حيث وجدت من يجعل من زوجها المتغطرس قزم وأرنب.

تغيب شمس الله راحلة حيث أمرها فلا ينبغي للشمس أن تسبق القمر

ولا الليل سابق النهار... كل في فلك يسبحون، طقس الصحراء شديد

الحرارة نهارًا وشديد البرودة ليلاً... وسبحان الله في إبداع خلقه في أن

يؤهل الحيوانات والنبات الصحراوية بملكات تخفف عنها صعوبة الطقس

ويزيد من إبداعه جل وعلا تأهيل الإنسان أيضًا بملكات لكنهم قليلًا ما

يشكرون.

بدأت أعمال خدمة الحراسة الليلية بالمعسكر التي تمت بتوزيع الأفراد

بواسطة باشاويش السرية "نصر فرغلي" على المواقع التي تتطلب

حراسة مثل بوابة المعسكر ومخزن السلاح وغيرها، مع توزيع كلمة السر التي تتغير كل يوم، وفي حالات الطوارئ إذا أخفق القادم في قول كلمة السر بعد ثباته من فرد الخدمة يستعد له بشد أجزاء السلاح حسبما تعلم، إلا أن يطلق رشاشه على المجهول يقضي عليه ومعه شره القادم به.

عاد سيادة الرائد حسن مصباح بعد قيامه بالواجب الإنساني تجاه الصبي حميد ابن غليظ القلب والعقل سالم وقد أنقذ حياته ولولاه لكان نزيف الدم ما توقف حتى فارق الحياة في هذه المنطقة شبه المعزولة والخالية من البشر.

دخل المعسكر بعدما أدى مهمة الاستطلاع التمهيدية للقيام بعملية ليلية بغيتها القبض على مارقين، وصلت معلومات عنهما بالاستعداد للتحرك عبر الأنفاق الحدودية التي تنتهي في الأراضي المصرية نحو مدينة الشيخ زويد للقيام بعمل إرهابي خسيس مكلفين به من قبل تعليمات أمروا بها وما عليهم إلا التنفيذ.

اجتمع سيادته بالقوة التي اختارها من رجال المعسكر وشرح لهم كيفية التحرك وتوقيته مع كيفية التعامل مع أعداء الحق الذين سوف يلتقون بهم، وحثهم أن مثل هذه المهام تتطلب اليقظة وعدم إعطاء الأمان حتى لو للمصاب، تم شرح العملية وسماع أي استفسار من أعضاء الفريق المكلف بها، وقام الجميع بعدها بقراءة الفاتحة ثم نطق الشهادتين وتحركوا منتصف الليل متجهين نحو الهدف.

سالم أصر على أخذ ولده حميد من المستشفى برغم عدم إتمام العلاج واعتراض الطبيب على تصرفه، إلا أنه كتب إقرار خروج ولده المصاب على مسؤوليته ودون الإحساس ببكاء الأم شيماء المقهورة والمذعورة على حياة ولدها البكري وربما تحدث له مضاعفات تؤدي بحياته، حملة بيديه دون عناية كافية واضعاً إياه بالسيارة عائداً بهم إلى منزلهم وطمأنهم أنه سوف يحضر له طبيب يتابع علاجه بالمنزل مدعياً أن العناية الطبية بالمشفى هذه تسودها الإهمال والجهل الطبي.

ليالي الصحراء مقاومتها بعض الونس للتخفيف حتى ينجلي ظلام أسود يشبه ظلام القلوب المتطفلة على أرض صحاري الوطن شرقاً وغرباً، وهدف الظلاميين واحد، هو النيل من استقرار هذا الوطن الأبوي والعزير على قلوب أبنائه، ليس لهم سواه حضن أمان ومثوى جسد حين ينتهي العمر في الحياة الأولى تتمدد في جوف أرضه الطيبة الأجساد راضية ويبقى صاحب الجسد ذكرى عند أهله وذويه يتزاورون قبره ويترحمون عليه، ومع مرور الزمن يصير أديماً للأرض، بعدها يذكر الشاعر رهين المحبسين أبي العلاء المعري... يذكر الأحياء بالرفق وهم يمشون فوق الأرض بقوله "خفف الوطء إن أديم الأرض من هذه الأجساد".

من يقومون بالونس هم غير المكلفين بالحراسة في معسكر الأبطال، لكل منهم وقت محدد خلال ساعات الليل الاثنى عشر مقسمة على ثلاثة ورادي، كل منها أربع ساعات، فالفرد منهم في كل موقع من مواقع خدمة

الحراسة الليلية يقف منضبطاً يقظاً خلال وريدته المحددة بينما الفردين الآخرين لنفس الموقع ينتظران موعد وريدتهما، اتفق الجنود الثلاثة المكلفين بحراسة بوابة المعسكر التعاون فيما بينهم فيما بينهم عدم النوم خلال الليل حالك الظالم واليقظة دعماً لزميلهم المحددة له وريدته ليكون اثنين منهم بالقرب منه يؤزرانه وقت الخطر أو حتى لا يغلبه نوم الصحراء القاسية.

طاقم خدمة البوابة المعين للحراسة هذه الليلة مكون من ثلاثة جنود، هم أوزوريس من المنيا بصعيد مصر وناسها الطيبين، وجندي مؤهلات عليا خريج الآداب حسين صبحي شاعر وعاشق وعريس تنتظره عروسته في الإسماعيلية، معهم اللص التائب وهذا السر يجهله الجميع وإذا بليتيم فاستتروا، ثلاثتهم سعداء بالصحبة وقال أوزوريس بسعادة أهل الريف:

- أنا مبسوط قوي قوي عشان معاكم في الخدمة ديتي، اها نسلوا بعضينا لغاية صباح ربنا ما يطلع، وكمان نسمع شعر حسين الجميل يطري على قلوبنا الناشفة.

حسين بتواضع وأدب :

- عينيا ليكم بس انت يا أوزوريس تقف مكان خدمتك وأنا هعلي الصوت واسمعك اللي انت تحبه، خلتنا صاحيين وفايقين لأي حركة غدر من ولاد الجزمة اللي انتم عارفينهم، ألا صحيح يا عادل هو انت بتشتغل إيه برّه؟ لا أنا عارف لك أنك صاحب صنعة ولا حاجة واضحة منك على كده.

انتفض عادل وبدون ترتيب انفعل وقال:

- يعني هكون بشتغل إيه... حرامي يعني؟ أنا بشتغل سباك وأحياناً نجار مسلح.

ضحك أوزوريس ورد بعفوية الصعيد:

- ياخي ايش جاب البحر جنب القلعة؟ إيه سباك وبعدين نجار مسلح، قول شغلانتك يا بلدينا من غير خشى، وافرض ياخي زبال شوارع أهى شغلانة شريفة أحسن من اللي يسرق خلق الله.

انزعج عادل ثانية وقد أوجعته الجملة التي سمعها من أوزوريس وأراد تغيير الموضوع بسرعه:

- اهو انا بلقط رزقي مع مقاول مباني والحمد لله مرضية اللي بيقولي عليه اعمله، هما في البيت سموك ليه أوزوريس؟
أوزوريس شبه منفعل :

- خمسين مرة سألتني السؤال ديتي وكل مرة حد يقولك، باين عليك مش هانتوقف عن السؤال الماصخ ديتي لغاية ما نخلص جيشنا ولا حتي استشهد بعدها مش هتلاقيني عشان تسأله يا بووووووي عليك يا عادل.
يتدخل حسين يهدى الموقف ويقول:

- أنا كتبت حاجة هقولها لكم، بس بص يا أوزوريس ع البوابة واللي حواليتها وأنا صوتي هيبقى عالي تسمعه المهم انك تركز في خدمتك.
أوزوريس بمودة:

- حاضر أوامرك يا حاصل حسين.

حسين لملم ذاكرته باحثاً فيها عن كلمات كتبها وليدة لحظة بعد الطابور
وقال:

يا موكب الشهدا ليه سايبني ورايح بعيد عني
ما تقرب مني هو انت رايح لمين
لبست لك افول الفرح ومستني
واقف بخوذتي وسلاحي وحافظ اليمين
كتبتي وصيتي لامي تزغرد في زفتي
وتشيل بدل العلم صبر القلوب علمين
وراهما نسوان البلد جايبين يهتوها
وبأيديهم شربات ويطيروا حمام الحرمين
قولني يا امّا ابنك كان عارف ان بدلتة كفنه
وروحه ما تغلاش على بلده نور العين
الخوف يخاف منه والأرض عرض أكيد
كتب روايته صلاح الدين في موقعة حطين

عادل جاويش بسعادة بالغة:

- الله الله عليك يا سحس والله هزنتي وفرحتني وخلتني اتمناها.

حسين فاهم ما قاله عادل جيداً ومع ذلك سأله:

- إيه هي اللي اتمنتها يا عدول؟

بحماس:

- الشهادة طبعاً.

أراد الجندي حسين أن يتأكد من صدق نوايا زميله عادل استفزه قائلاً:

- بس أنا شايفك بتحب الحياة.



- هو فيه حد مبحبش الحياه يا سحس، بس مين فينا مبحبش الشهادة ويتمناها. حسين يعجب برد عادل ويربت على كتفه قائلاً:
- عندك حق يا صاحبي، الله يفتح عليك
- أزوريس من الخارج ينادي:
- ايه يا حسين وقفت ليه!! كلامك حلو والله سمعني يا سحس.
- خلصت يا دفعة خلاص، بس بتكلم مع عادل.
- تمام يا سحس تعالى بقي استلم ورديتك عشان أدخل ارغى مع عدول
- حبيبي شوية.

عاد سالم إلى منزله مع زوجته وولده حميد المصاب، كل همه تحفيز ولده الأكبر على أن يكون قويًا ويتحمل الألم ليعود لعمله في رعي الأغنام والإبل، ثم يعود لقسوته وينفعل عليه كيف له أن يذهب إلى منطقة اللغم وقد حذرته ألا يتخطى هو وما يرعى المناطق التي حددها له مرارًا وتكرارًا، هذا دفع الأم سؤال زوجها سالم:

- يعني انت كنت تعرف إن الناحية هدا فيها لغم؟

يرد منزعجًا من السؤال المفاجئ وقال:

- ايش نعرف؟، ما نعرف شي البلد كلاتها ملغومة.

- ما في حدا قال قبل إكده إن البلد ملغومة، ايش اللي خلاك تقول اكده؟

سالم يترك لها الغرفة الراقدة فيها المصاب ويقول عندي مكاملة شغل نعملها وأعود للحديث، يتحرك بعيداً ليصل لأطراف مزرعة الزيتون حتى لا يسمع حوارهم أحد، ثم يستخرج جهاز من الصديري أسفل الجلباب ويتحدث: - ليش المعاملة بقت شينة؟ انا واقع في مصيبة، شيعولي مصاري محتاجها دلوك.

- ما اقدرش استنى عن كده، ولدي الكبير انصاب في لغم وحالته خطيرة ومحتاج مصاريف كتيرة، شيعولي مع الناس اللي جايه.
- لو على اكده مش هستقبل حدا، هدد كيف ما تريد.
- أها أكده نبقي حبابيب، ومرحباً بالأشاوس، انا قاعد منتظرهم، بقولك بقولك، ألو ألو..... ألو.

أغلق الخط، بعدها تلفظ بألفاظ نابية تصيب من يسمعها بقرف وغيثان، عاد ثانية حيث توجد زوجته وأولاده حول حميد جريح الساقين التي تم استخراج شظايا من كليهما وقال:

- أنا هالحين هانزل أنام في مطرح الضيوف لاجل اتلاقي مع رجال جايين على شغل، شد حيلك يا حميد، أريدك في شغلانة بسيطة بكّير، وانتى قومي اطبخيله وكلة زينة تقوّي عضمه، واعملني كمان حساب الضيوف اللي جايين الليلة.

الفصل الرابع



عند خروج أفراد القوة العسكرية من بوابة المعسكر لتنفيذ المهمة المكلفة بها بقيادة الرائد الإنسان حسن مصباح، راكباً السيارة الجيب قيادة المجند عادل، ورائه سيارة مصفحة طاقمها رقيب نصر فرغلي والجنديان عارف موسى وزميله الجندي وحيد عبد العاطي، وكلا منهم معه رشاش آلي موجه فوهته للخارج من نافذة صغيرة في بدن المصفحة، يقودها أحد المجندين الملتحقين بالمعسكر من إدارة مركبات القيادة.

عند خروج القوة من البوابة كان الجندي فوزريس في خدمته بدوره، أدي سلام سلاح لسيادة الرائد حسن، وأخذ يدعو لهم بالتوفيق بصوت سهل سماعه من زميليه بنفس موقع الخدمة عادل جاويش وحسين صبحي، وأخذ يقول بلهجة ريف أهل المنيا وبياض قلوبهم:

- رب ينجيكم من شر الطريق وناسه، ترجعوا بالسلامة وينصركم على من عداكم، الرب حارسكم ومعاكم والعدرا واقفة جاركم تقويكم وتباركم لحين ترجعوا سالمين آمين.

دمعتان ساخنتان سقطتا من بؤرة نور المحبة في القلوب المعطرة
بروح الأخوة الأبدية.

سالم لم ينم، يتقلب في فراشه منتظرًا لمكالمة من الطرف الآخر
بالشرق الحدودي، ليلبغوه بتحرك رجالهم بدراجاتهم البخارية عبر النفق
التي تنتهي فتحته عند طرف مزرعة الزيتون خاصته من ناحية الجنوب،
والأهم من وصولهم سالمين من عدمه المال الذي يحمله أحدهم حسب وعد
من هاتفه نيابة عن القيادة المسيطرة على فتحات الأنفاق من جانبهم
وتحصيل الرسوم المفروضة على حركة الدخول والخروج سواء بضاعة أو
أفراد كل حركة لها تقدير مالي حسب أهميتها لطالبيها وأحيانًا جنسيتهم.

أيضا شيماء الزوجة المقهورة تزداد شكوكها في زوجها من خلال
تصرفاته المريبة خاصة بعد إصابة ابنهما الأكبر حميد، لذا أبى النوم زيارة
جفونها التي بدأت في الذبول من كثرة الهموم، بين الحين والآخر تمسح
وجه ولدها حميد من العرق المتصبب عليه وتدعو الله تمام شفائه، عازمة
هي على ألا ينام لها جفناً إلا وتأكدت من صحة بعض ظنونها، وإن كانت لا
تدري ماذا تفعل حين التأكد، إنها الحيرة القاتلة، الاختيار فيهما ما بين
أحلاهما مراً، في النهاية طلبت من الله العون والمدد فيما هو آت ثم
احتضنت ولدها الجريح والمغلوب على أمره مثلها والدموع تنساب بلا
توقف.

ينتظر سالم البشرى حسب مفهومه ومعتقداته لياتيه رنين الجهاز
المخصص للتواصل من هذا النوع، يلتقطه بسرعة قائلاً:
- أيوه يا كبيركيفك؟ أنا جاهز ثواني أكون فتحت من عندي، أخبار
المصاري إيه؟
- مش اتفاقنا هادا احنا اتفقنا كد هادا مرتين تنين.
- ايش فيه؟ هادا حقي وتعبي، كمان أقل من حقاتي كتير.
- آه إكده، ليش تلاعبني قول م الأول وقعت قلبي وكنت هزعل طوالي.
- جاهز يا كبير حتى مسوي لهم وكلة زينة منشان أكرمهم، مع إنكم ما
بتحسبوا هادي المصاري، هاقوم دلوكيتي.
- كيف يعني ما كنت طماع أبداً، سلام.
أخذ سالم نفساً عميقاً ثم بصق بصفة مقززة على الهاتف وكعادته
صب لعناته وسبابه للأب والأب اللذين أنجبا من كان يحدثه.

أغصان الليل المخيف سهل انكسارها عندما تفتقد إرتواء الأمان،
سرعان ما تجف وتميل منحنية نحو الأرض طالبة منها أن تحتضنها في
جوفها، ربما يكون العمق فيه الأمان عن السطح الذي به أفعال البشر منها
الشقاء من دهرس الأقدام التي لا تأبه والغصن الذي سقط بعدما كان يوماً ما
يانعاً حاملاً ثماراً تفيد من يدهسها الآن بنعليه بلا رحمة، وقد تكون النهاية
المؤلمة إلقاء الغصن الجاف من حرمان الأمن والأمان في نار للتدفئة أو

طهي الطعام الذي يأكله من حرم الغصن أمنه ومصيره فضلات تسكن باطن الأرض.

بدأت شيماء أمام مرآتها المكسورة كما داخلها الرفض أن ينكسر كليا فيحاول أن يقوى ببقايا عزيمة، تحركت صاعدة أعلى المنزل حتى يتبين لها صحة ظنونها من عدمه كاشفة من أعلى الأدنى موقعا ومروعة، ظلام الليل إذا كان ساترا لها فهو كاشف مع من تعيش كزوج تمنحه الإخلاص والسمع والطاعة، لمحت زوجها سالم بيده كشفا ينير له طريقه ويساعدها على الرؤية من أعلى، يتحرك نحو العشة المقامة بالخصوص ومغطاة بالأغصان الجافة التي تشبهها، لما كان فتحة الخروج من العشة ناحية رؤيتها، وجدت دراجتين بخاريتين عليهما أربعة رجال ملثمين بعد إزالة سالم غطاء من الصاج وما فوقه كانتا أريكتين، يستقبلهم سالم بالأحضان ويأخذ من أحدهم لفافة يدسها في في جيبه الداخلي، يقدم لهم سالم الطعام الذي أعدته شيماء منذ ساعات، بعد دقائق ودع سالم الجميع منطلقين تحت جنح الظلام؛ فقليلاً ما تضاء فوانيس درجاتهم البخارية.

سارت السيارة الجيب المقلدة لسيادة الرائد أركان حرب حسن في المقدمة بسرعة بطيئة، خلفها السيارة المصفحة بها طاقم القوة بنفس السرعة حسب التعليمات والأوامر الصادرة للسائق، في يد الرائد حسن نظارة معظمة ليلية يراقب بها جانبي الطريق.

على حين غرة طلقات أعيرة نارية دون توقف من الجانب الأيسر للطريق، طلقة منها تصيب السائق عادل، عندها توقفت السيارة الجيب وسحب الرائد حسن السائق عادل إلى الأسفل ليحميه بجسده ويتصدى برشاشه الآلي لمن يطلقون النار بكثافة مع وابل من الرصاص أطلقت من العربة المجنزرة تجاه نفس الهدف، لم تمض دقائق على إطلاق النار المتبادل إلا وقد فرّ من الموقع المستقلون الدراجات البخارية نحو مزارع الزيتون في الظلام، قاد السيارة الجيب الرائد حسن ليلاحق من كانوا يدعون الرجولة في الظلام واختفى أثرهم تماماً، فما كان منه إلا التوجه بسرعة عالية نحو المستشفى لعلاج السائق المجند عادل من إصابته وقد كان.

الرجال الفارون من مواجهة القوة قيادة الرائد حسن، انطلقوا تحت جناح الظلام وكاد أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر حتى وصلوا إلى الجحر الذي خرجوا منه في أرض سالم، وقد اتصل أحدهم به لتجهيز فتحة الجحر لعودتهم من حيث أتوا، عند استقبال سالم لهم كان في دهشة وسألهم:

- ليش رجوعكم؟! المشوار مقدرّ ليه أكثر من إكدّه.

أحدهم يلهث والرعب يتملكه قال:

- في الطريق لقينا قوة رايحة على هناك تدعمهم، اشتبكنا معها وقتلنا واحد منهم.

سالم مدعيًا الخبرة القتالية:

- ليش ما روحتوا ع الهدف طوالي؟

الثاني باتفعال :

- خليك في حالك يا أخينا، كل واحد منينا عالم بشغله وما تعملش من نفسك معلم، وانت يدوبك صبي تَقْبِض مصاري وبس.

انفعل سالم وقال:

- ليش الطريقة دياتي في الحديث؟! هو اللي يوضيك زي اللي يخريك؟
همهم الجميع منفعلين على سوء أدبه والمثل العفن الذي أطلقه وقال
كبيرهم :

- كنك كلامك دبش وما تعرف الذوق يا هادا، يلا خلصنا خلينا نمشوا من
وشك العفش، يلا يا جماعة استعدوا خلينا نغور من اهنيتي.
يهدأ سالم خوفًا منهم على حياته ومصالحته معهم وقال:
- توصلوا بالسلامة يا رجالة.

راقبت شيماء من نفس المكان بأعلى المنزل عودتهم ودخلهم الفتحة
أسفل العشة بدراجاتهم البخارية، وما أن لمحت عودة زوجها سالم للمنزل
حتى نزلت سريعًا لتنام بجوار ابنها الجريح حميد مدعية النوم وهي
تحتضنه، سرعان ما دخل سالم عليها مضطربًا ليوظ حميد قائلاً:
- قوم يا حميد يا ولدي عشان ترعى غنمك.

قامت شيماء عند سماعها طلبه الصعب هذا وقالت:

- ايش قلت يا سالم؟!، ماتعرفش إن حميد رجليه التنين متصابة وكان فيها شطي؟

- عارف لكن أريده في شي كبير يعمله بالغنمات.

- ايش هذا اللي تريده يعمله بالغنمات واني أعمله مكانه، يدوبك دلوك نايم ومانامش الليل طوله، حرارته عالية قوي المسكين، يا قهرتي عليك يا وليدي، يطلع نور ربنا تجيب له الدكتور اللي قلت عليه.
سالم منفعلًا:

- ليش دكتور وندخل في سين و جيم، اعمليله كمادات مي باردة، وانا هاروح اعمل اللي هيعمله مش عايز منيكم حاجة، خليكي جاره يا وش اليوم.

- دلوك وش اليوم يا سالم، بتنسى نفسك كل ماده، حاضر يا سالم.
نظر اليها سالم نظرة شريرة كلها غل ثم انسحب سريعًا ليؤدي مهمته.
كانت مهمته التي ود لو أن حميد ولده يقوم بها أمانًا له من قيامه بذاته بتلك المهمة والمتمثلة في إخفاء أثر إطارات الدراجتين البخاريتين من فوق الرمال، فهو يتوقع أنه مع أول ضوء للنهار سوف تقوم قوات المعسكر بتمشيط المنطقة، وتتبع أثر سير الدراجات المستخدمة في العملية الفاشلة والتي لاذ منفذوها بالفرار وعدم استمرار التصدي لأفراد القوة قيادة الرائد حسن.

قاد سالم الأغنام والأبل ونجح في طمس أثر إطارات الدراجتين وهو لديه من الخبرة في فعل ذلك والتأكد من عملية إخفاء الأثر، بعدها عاد

للمنزل عازماً على إعادة المحاولة مع ولده الجريح حميد فى القيام بدوره المعتاد فى رعي الماشية كما اعتاد، فهي تكلفه الكثير إذا ظلت بالمنزل يقدم لها الأعلاف.

ولده حميد معظم الليلة يبكي ما حدث للكلب "عنتر" الذي لقي مصرعه وربما لولا عنتر ربما اللغم قد أصابه وحده وضاعت حياته، قص تفاصيل ما رأى لأمه وظلا يبكيان معا، سالم دخل عليهما بوجهه الحاد وقال:

- إيه يا حميد الغنمات ببسألوا عليك اتوحشتهم.

رد حميد بانكسار كالعادة:

- حاضر يا بوى.

الأم تتدخل وتنخر حميد وتوجه حديثها لسالم:

- وين الرحمة بتاعت ربنا يا راجل، ككك عايز تخلص من ولدك كيف ما بتخلص من ولد الناس؟

كلمات قوية فهم سالم معناها وسألها:

- حديثك دييتي ايش معناه يا مرة؟

ردت عليه شيماء بتحدّي:

- انت خابر ايش نقصد يا سالم، سيبنى باللي جواي يا ولد الناس.

- كلامك هادا واعر وفيه حساب عسير بس مش دلوك، يلا قوم يا حميد.

حاول حميد مرات حتى صلب عوده متألماً وقال:

- عنتر مات يا بوى قدام عيني.

سالم بلا مبالاة رد ونظره بعيداً عن ولده:

- الكلاب كليتها لزمن تموت.

حميد ببراءة الصبا:

- كان صاحبي وبيلعب معاي، ماكانش لي غيره كنت نحبه قوي ياابووي.

سالم يفعل:

- صاحبك هو قرشك غير اكده تبقى عباطة منك.

تتدخل شيماء موجهة حديثها لولدها:

- اوعاك يا وليدي تسمع الكلام ديتي وتعمل بيه، خليك على فطرة ربنا اللي جواك.

يزداد سالم انفعاله وبصراح قال:

- يلا يا حميد هاطلع استناك جار الغم.

- حاضر يا بووي توا.

الأم بزفرة ألم: حسبي الله ونعم وكيل.

تحرك حميد ببطء محاولاً ألا يظهر ألمه رفقا بأمه التي يراها تتألم أكثر منه، وخوفاً من أبيه صارم الوجه غليظ القلب، ذهب إلى حيث يقف أبيه ويسوق الأغنام والأبل للمرعى دون النظر له، رويداً رويداً حتى غاب عن المزرعة، لم يلتفت خلفه كسابق عهده حتى تغيب معالمها عن عينيه.

في المعسكر الكل على أهبة الاستعداد منذ اتصال الرائد حسن بالمقدم محمد عبد الرازق يبلغه فيه ما تعرضت له القوة، وأن لديه إصابة واحدة وبعدها أن المجرمين فروا من حيث أتوا، قام المقدم محمد بدوره إبلاغ

مركز القيادة وعلى إثرها خرجت طائرة هليكوبتر تمشط المنطقة على نطاق أوسع، تحرك المقدم محمد على رأس قوة تبحث في كل اتجاه من منطقة الاشتباك ولم تصل لأثر دل على وجود من قاموا بالعملية حول المنطقة.

اطمأن الجميع على سلامة السائق عادل عندما عاد إلى المعسكر سالما بصحبة رئيس العمليات رائد أركان حرب حسن مصباح، وقد ربط كتفه الأيسر به جرح سطحي من طلقة طاشت بجواره مع أول دفعة رشاش وباقي الدفعة في بدن السيارة العلوي، حكى عادل للجميع بطولة سيادة الرائد حين افتداه بجسده فور إصابته وظل منكباً عليه حامياً له حتى انتهاء الاشتباك، وكيف كان إنساناً أن يقود السيارة بأقصى سرعة حتى ينقذ حياته من تدفق النزيف، فعل هذا دون طلب مدد من أي جهة.

أقام المجندون احتفالاً بنجاة زميلهم عادل في عنبر المبيت مع التأمين التام ألا يراهم الرقيب أول رمضان ويشد عليهم بتعليماته وصرامته.

المجدد عارف موسى كان ضمن القوة التي اشتبكت مع المجرمين فأخذ يشرح بطريقته ولهجته السوهاجية:

- كنت "جاعد" في العربية "المدنزرة" طالل على "الطريج" و"مفندل" عينا، لغاية اكده حلو وزين... الأجي طرجعة فوق راسي من كل مكان، "الطلجة" "تيدي" في "دسم" المصفحة "تجول" عو "الطلجتين" يقولوا عو عو والرائد حسن يجول اضرب يا عارف، عارف اللي هو أنا في الوقت ده "عجله" مش في راسه "جعد" يضرب لغاية ما أولاد "الذمة" طاروا وملجيتش واحد منهم جاعد ولا واقف ولا حتى طابير، عارفين ليه يا ولاد؟

الجميع :

- لع ما عرفينش.

- توي جايل الرائد حسن صيتني وجالي اضرب يا عارف، هما سمعوا اسم عارف "دالهم" الرعب و طاروا، بس أنا على اكده زعلان "ددا" من سيادة الرائد عارفين ليه؟

- لع ما عرفينش.

- عشان يا "دزم" وممكن كمان بُلغ جديمة "جال" عارف حاف من غير شاويش هع بع هع بع.

صوت ضحكات المستمعين من الجنود كان مردودها من الرقيب أول رمضان بصوت جهوري:

- اجمع يا عسكري انت وهو، اجمع اجمع.

العلاقة بين الضباط وبعضهم لا تقل ألفة عن علاقة المجندين وضباط الصف المتطوعين، بل غالباً تزداد حميمية وارتباطاً ببعضهم البعض حتى تصبح أخوة حقيقية تسودها المودة مع حفظ المقامات أي الرتب العسكرية، فالطبيعي أن الرتبة الأعلى هي الأكبر عمراً وإن كان هناك استثناء في بعض الحالات عن تلك القاعدة.

التهاني تقدم لسيادة الرائد حسن من النقيب يوسف على شجاعته، وهذا ليس بغريب عليه في العمليات السابقة التي قام بها وكان النقيب يوسف بصحبته ويزيد من الفخر به بقوله أنه بورسعيدى، والبورسعيدية

هم أحفاد أبطال العدوان الثلاثي ٥٦، وبتواضع المقاتل قال الرائد حسن للنقيب يوسف:

- شكراً يا يوسف، انت الحقيقة مثال للظابط المنضبط اللي بيحافظ على لياقته وبيحترم الكبير والصغير وعارفك حقاني، عشان كده الكل بيعملك حساب، شوف يا "جو" أنا عن نفسي زعلان كان نفسي يستمروا في مواجهتنا ونفرمهم لكن جبانات هربوا ونفذوا بجلدهم من أيدينا، انت عارف العسكري عارف اللي دايمًا بيهرج ويقول على نفسه فقري، أنا اخترته ضمن القوة في المأمورية دي وأنا متأكد إنه وقت القتال والجد شخصية تانية خالص، والتي حسبته لقيته فعلاً كان سبب رئيسي في هروب العيال المجرمين مع إنهم مكنوش ناحيته لكن نط من اليمين للشمال في المصفحة وكانت طلقاته مكثفة ومركزة عليهم.

اعجاب من النقيب يوسف بالرائد حسن ونظرة عينيه تفضحه ثم قال كنوع من المجاملة:

- يا افندم أكيد توجيهات سيادتك كان ليها الأثر.

انزعج الرائد حسن من الكلام واندفع يقول:

- دا انا لسه بقول عليك حقاني يا يوسف سحبتها، لازم تعرف إن عمل أي فريق يُنسب للجميع وقت النجاح مش للقائد بس، والقائد الناجح هو اللي يخلي فريقه يخاف عليه مش يخاف منه، سبب تأخر بلدنا في بعض الأوقات والأزمات إن المسؤولين ينسبون نجاحاتهم ونجاح اللي معاهم

لقيادتهم العليا، والفشل ينسبونه إلى أفراد الفريق التي مالهمش أي
صلاحية في اتخاذ القرار.

شرب نصف كوب ماء ثم أكمل بمودة:

- انت عارف يا صاحبي نكسة أو بمعنى أصح هزيمة ٦٧ شالها عسكري
الرادار لأنه اتأخر في الإبلاغ عن الطيران الاسرائيلي المهاجم لقواتنا
ومطاراتنا في سينا، إلا أن عبد الناصر الله يرحمه طلع قدام المصريين
والعالم كله يعلن عن إنه مسئول عن الهزيمة، هي دي القيادة الصبح يا
يوسف، وجعت دماغك قولي بقى هتغزمني على إيه؟
- عينيا يا افندم ها طلب لحضرتك شاي سكر خفيف.

يضحك الرائد حسن بلهجته البورسعيدية وطعمها اللذيذ عند سماعها:
- كريم يا يوسف والي في جيبك مش ليك، شاي حنة واحدة!! طب على
كده على حسابك ولا على حساب الجيش؟ ها ها ها، ثم طبطب على كتفه،
بهزر معاك اوعى تزعل مني انت حبيبي يا جو.

- والله وحضرتك حبيبي وبتعلم منك وبحب اسمعك كل وقت.

بجدية مصطنعة الرائد حسن مبتسمًا قال:

- يلا يا أفندي ورانا شغل كتير مافيش وقت للتهريج ها ها ها.

هناك دول فيها قوانين حماية الطفل التي تفرض فيها بقوة القانون
على الأبوين مراعاة أطفالهم جسديًا ومعنويًا وحسن معاملتهم، ماذا وإلا
يسحبوهم من تحت ولايتهم ويودعوهم في مركز إيواء أو ضمن أفراد

لأسرة بديلة، معروف عنها أنها تحب الأطفال وتقدر وجودهم سعداء في الحياة ويوفرون لهم كل سبل الراحة والإمكانيات كي يكونوا شباب أسوياء، في حالة طلب الأب أو الأم عودة طفله المسحوب منه، يؤخذ عليه تعهدات وضمانات عدة بمعاملة الطفل العائد لأسرته الأصلية أفضل معاملة وتقوم المنظمة بزيارات مفاجئة للتأكد من تمام التنفيذ..

حالة حميد الذي أصيب بجروح في ساقيه يتم اغتياله نفسياً وبدنياً كل يوم، سعادته تكمن وقت ابتعاده عن منزلهم الذي يقيم فيه على الدوام، فهو العاقل لا احد يعرف له مهنة أو نوع عمل يقات وأسرته منه، ابتعاد حميد نعمة له رغم أنها يقضيها في صحراء جرداء بلا ترفيه يذكر اللهم العدو خلف الكلب أو أمامه، والكلب مات متفجراً بلغم وضعه إنسان، حتى هذا الترفيه الساذج حرم منه لينال كل ما فيه جموداً نفسياً و بدنياً وفكرياً، كل ما فيه تيبس كشجرة رويت منذ كانت فسيلة وما أن باتت تحتاج الرعاية أهملت وتركحت حتى ماتت.

شمس الله تميل نحو المغيب، تودع بعض البشر اتخذوا من الكآبة نمط حياة طوعية، عاد قطع الأغنام الذي علمه الله وقت العودة ومكان المبيت، عاد القطيع مطأطأ الرأس رأى كل من فيه ما حدث لقائدهم "حميد" الصبي الحنون عليهم، لو كان للقطيع بأكمله وسيلة معلنة عن التعبير لملاً الصحراء صرخات زلزلت رمال الصحراء مترامية الأطراف وما سكنت حتى تنفجر منها ينابيع الدمع حزناً على الصبي.

الأم شيماء ما أن سمعت دبيب أطراف القطيع هرعت خارج المنزل والوجه مشرقاً برغم أن الوقت غروب، متلهفة رؤية ولدها والاطمئنان على حالته، بحثت عن ولدها البكري لم تراه معهم، هرولت باحثة في كل شبر من المنزل والمزرعة، أخذت تحدث نفسها بصوت مسموع... وين حميد وين؟، علا صوتها... وينك يا حميد؟ رد عليا يا وليدي، أخذت في الصراخ حميد.. حميد.. حميد وليدي، أخذت تعدو حافية مقتفية أثر أرجل الغم فوق الرمال المتعرجة كالروح حينما تضطرب، القلب يكاد أن ينخلع من صدرها والرأس ما عادت لها مكان وكل أجزاء الجسد يرتعد، ضربات كفيها ما تركت جزء من جسدها المنهك فوق الرأس تارة على الصدر تارة ولطم الخدين مرات، وما على اللسان سوي اسم ولدها حميد.

الفصل الخامس



صرخات الأم شيماء تاهت في فضاء الليل الزلحف على صحراء الروح
الساكنة فيها وبها، أظلمت الدنيا حولها فما عدت ترى آثار الأغنام فوق
الرمال التي تفتفي أثرها دليلاً أن نهايتها سوف يكون الحبيب المختفي قد
مكث فيها فلذة الكبد حميد أول فرحتها ونور عينيها مع أخيه وأخته،
والعوض من المولى عن زوج مات فيه القلب فهربت الرحمة فما كان
لرحمة أن تسكن غليظ القلب قلبي وحاد الطباع.

عدت عدواً وقفزاً وقنماها الحفيتان تغرزان في الرمل ولا تتوقف،
حتى وصلت منزلها فلم تجد سالم في المنزل الذي غادر منذ الصباح الباكر
ولم يعد، أخذت فانوس من المنزل يعاونها على الرؤية في الظلام انقابع
حولها وداخلها، لم تتوقف عن العو رغم وجع القدمين والآلام المبرحة
التي تشعرها، شعور الأمومة ولهفة رؤية ولدها الصبي حميد طغت على
أي مشاعر أخرى، لمحت جلاباب منبطح حوله كلاب فأسرعت نحو ما رأت
وإحساسها أكد أنه ولدها وبالفعل أنه حميد.

مع حلول الظلام، استلم أفراد خدمات حراسة المعسكر مواقعها للقيام بواجبها طوال ليلها، الذي غطى بظلامه كل ما حولهم في الصحراء، بينما تطل قلوبهم خضراء لا تعرف إلا الحب الكامن فيها تجاه بعضهم، والقدر وحده هو من جمع هذه التوليفة من الأفراد باختلاف ثقافتهم واهتماماتهم ولهجاتهم المحلية، إلا أنهم لا يختلفون على أمر واحد ألا وهو سبب وجودهم في هذه البقعة الطيبة... تحديداً أنه الوطن.

هناك أمر يشغل بال سيادة الرائد حسن مصباح، وهو أنه تلقى رسالة من أمه ببورسعيد مفادها أنها وجدت له عروس حلوة الملامح والطباع من أصل طيب، فيها المواصفات التي دوماً كان يحددها لأمه للهروب من فكرة الزواج، أهم هذه المواصفات أن تكون في طباعها من حنان وشدة ممزوج بالوعي وطيبة القلب، الغريب أنها قالت له في رسالته مادحة في العروس اختيارها أنها أحسن منها لتفوقها العلمي ولين الجانب مع رقة وأوثة تفوق الحدود.

حاول النوم مرات والجسم منه متعب لما واجهه ليلة أمس فأبى النوم الاستسلام، قام من سريره بملابس نومه متوجها لغرفة قائد المعسكر الذي يعتبره أخيه الأكبر وطرق الباب برفق... فسمع صوت المقدم محمد يقول:

- ادخل يا حسن الباب مفتوح.

- نفسي أعرف سيادتك بتعرف إن أنا اللي ع الباب إزاي؟
ابتسم القائد قائلاً:

- يا أبوعلي دي خبرة بتبان من مشيتك وبعدها خبطتك اللي فيها نطف وحياء الرجالة، قولي بقى ماعرفتش تنام ليه؟ عايز تنزل بورسعيد تضرب في السمك والبكلويز ها ها ها ولا العيلة وحشتك؟
حسن بنظرة إعجاب من ذكاء قائده المحنك وقال:

- من الآخر سيادتك عشان وقتك ماما جيبالي عروسة بتقول فيها مزايا الدنيا كلها، وأنا مش عايز أخرجها معايا أكثر من كده، بقالها سنين بتدور لي على عروسة وفي كل مرة أطلع فيها الققط الفطسانية، إنما المرة دي لقيت حماسها أكثر من كل مرة لدرجة كاتبه بتقولي إن العروسة أحسن مني.

- شوف يا سيادة الرائد الإضراب عن الجواز ده عنوان ساذج يقوله أي حد ثقته في نفسه قليلة من ناحية الجواز، نصيحتي ليك يا صاحبي بعد ما تستخير ربنا بركعتين يا ريت في أقرب فرصة وتستعد بعدها نفسيًا وبدنيًا تسعد نفسك وتسعد أهللك خاصة مامتك وتيجي تقولي أجازة الخطوبة إمتى عشان أرتب حالي واديك ٧٢ ساعة أجازة بحالهم.

يضحك الرائد حسن ملئ فيه لدرجة القهقهة وقال:

- ليه الكرم دا كله سيادتك؟ ما تخليهم ٢ ساعة أقابل العروسة في الإسماعيلية يدوبك واخطبها على الطريق السريع.

يستفزه القائد قائلاً:

- فكرة حلوة، وممكن الأسهل تجيبها والعيلتين هنا نعملكم الفرح بلوشي وعندنا المطرب عادل الاسكندراني والمعازيم بالبديل المموّهة.

- ها ها ها كده كرمك زاد سيادتك وفرت عليا إيجار القاعة وحاجات تانية كتير، طبعاً حضرتك معزوم وهاتيحي إن حصل بإذن الله.

- عندي شرط... أكلة ملوخية بالجمبري وسيبيا محشية مرته مع بربوني مقلتي و دنيس مشوي، بس كده كفاية هي هيئ هينو.

- جاهز يا افندم، ماما أستاذة في اللي حضرتك قولته.

- يابختك يا سيدي، أنا عندي المدام أستاذة في عمل البيتزا والسوسيس، الله يسعدك يا عادل، تأكد... اختيار الأم مع نظرتها لشريكة حياة ابنها ورضاها ربنا بيبارك فيه، أول عيل تسميه المقدم محمد عبد الرازق عبد المجيد (ضحكة هستيرية) اسم جميل ومختصر ها ها ها.

- ربنا يريح قلب سعادتك ويطمئنك على الحاجة وتقوم بألف سلامة.

المقدم محمد حول نظره عنه وقد دارى دموعاً غلبته، أسرع الرائد حسن بالخروج ولم ينظر إلى قائده الإنسان.

كلا من أفراد المعسكر الثابت بين الرمال التي تحركها الرياح، والثبات يأتي بروح وقلوب أفرادهم جميعاً حكايات وروايات فيها المعاناة وفيها أيضاً الفرح، شأنهم شأن مجتمعهم الثابت أيضاً في مواجهة التحديات بأنواعها عن وعي بأن هناك ما يريد لهم خيراً ولا أن يقوم لوطنهم قائمة ويضيع في زحام اختلاق الأزمات من هنا وهناك، لذا كان الصمود والحفاظ على تراب وطنهم هو الأعلى والأعلى فوق كل احتياجاتهم الخاصة والعامة

أيضًا، فلما كان هؤلاء الرجال شريحة صادقة معبرة عن مجتمعهم الذي يؤثر فيه مواظنيه على أنفسهم ولو كان بكل منهم خصاصة.

الجندي مؤهلات عليا وحيد عبد العاطي تلقى رسالة من شقيقته الصغرى على هاتفه، تبلغه فيها أنها ذهبت مع أمها صباح اليوم بعد شعورها بالألم في الثدي وكانت نتيجة التحاليل والأشعة إصابة الأم بسرطان الثدي في مرحلة متأخرة، اعتذرت له في الرسالة أنها أرسلت له هذا الخبر الموجع رغم تحذيرات الأم لابنتيها ألا تبلغه وشقيقه الذي يعمل خارج الوطن، لكنها لم تستطع كتمان السر أو حتى التأجيل.

الوجع ألم بكل جنابات وحيد، وهي الأم التي ما ادخرت جهداً في تربيته وأخواته أفضل تربية ونسيت أنها امرأة ترمّلت في شبابها التي فضلت نسيانه تماماً واعتنت بأولادها خير رعاية وسند، كانت لهم الأم والأب معاً حتى خرجت بهم راضية إلى بر الأمان وتستعد لبذل المزيد، أفضى وحيد بما به من أوجاع للعريف متطوع عوض خليل الذي تعاطف معه بشدة وطالبه البقاء معه للقاء الرقيب أول رمضان مساعد تعليم المعسكر مع التنبيه عليه أنه من يتحدث مع حضرة الصول لأنه دوماً يجبر خاطره في أي طلب شخصي وما عليه إلا السماع فحسب، التقى كلاهما وتقدّم العريف عوض لابساً وجهًا حزينا وقال:

- حضرة الصول رمضان، لينا طلب إنساني عند حضرتك، ومتأكدين إن حضرتك مش هاترفض طلبنا:

- دا إذا كنت أقدر، خير قول يا عوض بس باختصار.

- طبعاً حضرتك، باختصار العسكري وحيد أمه بعيد عنك اكتشفوا أن عندها السرطان النهارده بعد الكشف عليها الصبح.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ربنا الشافي المعافي، بس أنا دوري إيه في كده يا عوض؟!.

- دور كبير يا أفندم... إنك تقنع سيادة المقدم إنه يستتني دور وحيد في الأجازات لأنه لسه جاي من مركز التدريب وماتحطش في خطة الإجازات، ربنا يا رب يبعد عنك الأمراض الوحشة ويعطيك الصحة والعافيه و... يقاطعه رمضان:

- خلاص يا عوض، بس إنت عارف إنه ممكن يعمل عجز في الخدمة و دي مشكلة واحنا في طوارئ.
بكل ثقة قال عوض:

- محلولة يا أفندم أنا هكون في الخدمة مكانه في اليوم اللي هينزله أجازة.
- طيب يلا على مكانكم وانا هدخل للنقيب سامح وهو هيتصرف صح.

حوار إنساني تم بين الصول رمضان والنقيب سامح أسفر عن منح الجندي مجند وحيد عبد العاطي إجازة لمدة ٤٨ ساعة يطمئن على أمه، قوية الإرادة صلبة عزيمة رهط من الرجال، بالسفر إلي قرية بني عامر حيث تقيم يشد من أزرها يعلن أنها حبيبة روحه وما للعالم طعم ولا لون إلا وهي بينهم ومعهم، سرعان ما ارتدى زي الإجازات شاكر فضل وكرم

العريف متطوع عوض خليل الذي سألته إن كان محتاج مال ولم ينتظر رده
و دس له مائة جنية في جيبه قائلاً:

- ما تقولش أي حاجة يا عسكري أبقي هاتها أي وقت.

ودعه معانقاً العريف عوض وكلاهما يحاول حبس الدموع التي تستعد
للخروج إذا بقيا مع بعضهما ثانية وأقل.

مات الصبي حميد فوق رمال كانت أحن عليه من أبيه مأجور العقل
والقلب، أصابته الحمى جراء التهابات ساقيه التي انهارت وانهار معها
فوق الرمال متألماً لم يجد من يسعفه أو حتى يقدم له شربة ماء تبلل حلقه
الجاف.

خيالات الصبي قبيل رحيله دنياه القاسية على ضعف بنيته وقلة حيالته
تركزت في صورة أمه والكلب عنتر، كيف كان يمدانه صبر وجلد الرجال،
مات عنتر وبقيت الأم مطحونة الجسد والكلمة.

شيماء ارتمت فوق جثة من كان بنظرة من عينيه يمنحها المدد والأمل
في مواصلة العيش الأسود، أخذت تقلب في جثته وتستمع إلى نبضات أبت
أن تدق ثانية مصممة على رحيل الجسد والروح البرينة تلك إلى الحنان
المنان على عباده من شقاء الدنيا ومن عليها، لم تبك شيماء بل تحجرت
الدموع ومعها الجسد المشنوق واكتفت بلمس جثة وليدها من كل أركانه،
مودعة لها وتروح بذهنها كم كانت يديها حنون حينما كانت تغسلها حتي لا
تؤلم جسده الحساس بطبعه، أنفاسها متلاحقة دون توقف برغم شعورها

بالأمان وسط الظلام الحالك والليل الكارهة له، أتى الأمان كونها في حضن الحبيب حميد وإن كان جثة هامة.

سمعت شيماء المكلومة صوت سالم فوق رأسها ما رمش لها جفنا وما شعرت بوجوده، نزل على ركبتيه وتأكد من وفاة ولده الأكبر وأول من جعل منه يحمل لقب الأب وكان متباهياً أنه أجب ذكرًا يلقبونه "أبو حميد" وهذا كل ما في الأمر، مد سالم يديه ليرفع جثة ولده يحملها ليجد مقاومة صامته من الأم تمنعه أن يفعل ذلك، قامت هي برفع الجثة تترنح ثم تماسكت وسارت متجهة إلى منزلها الذي بات في نظرها مقبرة الآمنين وحفرة لدفن الرحمة وساطور قتل البراءة.

جنازة صامته تغوص أقدام الأم فيها في الرمال، ودت أن تغوص حتى نهاية الأرضين السبع مع من تحمل وتختفي معه إلى أن تقوم ساعة الحساب والعدل، يقضي فيها رب السموات والأرض بين من خلقهم فأحسن صورهم وقبح الشيطان أعمالهم، تخيلت شيماء ولدها حميد يلهو ويلعب لأول مرة في جنة زينها الله جل وعلا بمن مثله، ولدان مخلدون تحسبهم لؤلؤ ومرجان، فابتسمت وعلى الجانب الآخر رأت من يستحق أن يصلى سعيراً.

أخذ سالم يواسيها بعدما كادت أن تقع بحملها وعاونها على القيام بجثة ولدهما وقال :

- هذا أمر الله لا مرد منه.

لم ترد عليه، والمرارة في حلقها صارت أحجاراً تحول دون نطق اللسان
بما في القلب التعيس.

شهد العرجون القديم وحده في السماء ذلك الموكب الجنائزي المهيب
والمخيف، ولولا أنه مأمور بأمر خالقه أن يسبح في فلكه، لتوقف حتى لا
يصبح مرة أخرى بدمراً ينير أرض البشر وفيهم مثل هذا الأب وغيره
كثيرون، اتخذ من صبر أم الصبي قبساً من صبرها منتظراً يوماً لا ينفع فيه
مالاً ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلت جنازة فقيد الرحمة حيث نشأ الفقيد وليته ما نشأ فيه، سعدت
شيماء حيث فراش حميد المنتظر نومه وأب ينتظر موته، وضعته بغاية
الرفق على السرير وتمددت جواره ورجليها مليئة بالتراب كما وجه الصبي
الذي اختفت ملامحه تحت التراب، وبدأت تناجيه بصوت مبجوح قتل حزناً:
- حبيبي يا وليدي.. يا ولد عمري اللي اتقصف.. كان أملي في عينيك يا
حميد.. وين رايح وسايبني وحدي.. مد يدك وخذني وياك يا عيون روعي
اللي ماتت مع موتك.. متخافش يا وليدي انت رايح لربنا.. ربنا عنديه العدل
مش زي اهنيتي.. فوق فيه ملايكة تلاعبك وتضحك وياك.. مش تغدرك
وتقتلك ولكنها ما فعلت شي.. يا ..

تسمع صرخة هزت أركان البيت:

- كفاياكي فقر يا فقيرة وتعالى نشوف هنعمل إيه صباح ربنا عشان
الجنازة.

صرخت صرخة مكتومة وقالت:

- اللي يقتل سهل عليه يدفن.

استشاط غضباً وقال:

- مين اللي يقتل يا خرفانة يا بت الملعون؟

لا خوف منه ولا أهمية لوجوده قالت:

- الخاين يقتل، واللي سهل دخول القتلة قاتل، واللي يوفر ليهم الحماية

قاتل، واللي يدخلهم في الضلام ويخرجهم في الضلام قاتل، واللي ياخذ

أجرته مصاري منيهم قاتل، أقول كمان يا سالم أقصد يا قاتل؟

انتفض سالم وفهم أنها عرفت أسرارہ وأفعاله وربما كانت تراقبه، إلا

أنه حاول يتحدث كأنه ما فهم وقال لها بصوت مطصنعا فيه الهدوء:

- يا بت الناس ارحمي نفسيكي، عقلت طاش وبتقولي كلام غريب، بس

والله عاذرك، أمر صعب علينا كلاتنا.

شيماء بنفس الثبات:

- هو ربنا قال تعمل إكده وتكون سبب في موت ولدك بنفس الطريقة اللي

بيموت بيها ولاد الناس، زنبهم كلاتهم في رقبتك ليوم الدين وهتشوف يوم

أخبر ذنب الناس ديتي.

داخل معسكر الرجال الذين جميعهم ينتظر نصراً مبيئاً، يدحر فيه

الظلاميين، بطردهم وأثارهم البغيضة خارج الأرض الطاهرة، أو ينتظر

شهادة يبقى بعدها حياً يرزقه الله من فضله وبفضل تقديم روحه راضياً

مرضياً مدافعاً عن الأرض والعرض.

بعدما تم توزيع خدمة الحراسة الليلية تجمع ثلاثة منهم حراسة بالتناوب على مخزن السلاح (السلاحيك)، الذي يقع أسفل المبنى الخرساني بالمعسكر وتحت عابر المبيت، كان ثلاثتهم في قمة النشاط والحيوية، يرفض كل منهم النوم ويقاومه، مجدي عبد الفتاح الإسكندراني برفقته عريف متطوع عوض خليل بديلاً عن الجندي وحيد عبد العاطي، ثالثهم مجند عادل جاويش اللص التائب، الوردية الأولى نصيب عوض خليل مما أتاح فرصة لمجدي الإسكندراني أن يقص بعض ذكرياته المرحه لزميله عادل يقتل فيها وقت انتظار موعد حراسته، فأخذ يتذكر ويضحك حتي علت ضحكته مع دهشة من عادل الذي قال له:

- ما تضحكنا معاك يا أبو الأمجاد، ع الأقل تسري عني لغاية ما يبجي يوم الخميس انزل فيه الأجازة بتاعت عارف الفقري الله يكرمه واشوف محمد ابني واخذه في حضني لان مراته قدامها يومين وتولد. الاسكندراني شعر بأهمية ما سوف يقوله يرضي به زميل منتظر مهموم وأخذ يضحك مقدماً وقال:

- حضرت مرة فرح مع الفرقة في حطة شعبية اسمها "الراس السوداء" وكانت فعلاً لينة سوداء، الفرحة اتعمل في حارة ضيقة يدوب يمشي فيها راجل ولو معاه ابنه يمشي وراه، الفرقة وأنا معاه واقفين ع الرصيف بالعرض لازقين في بيت العريس اللي في دور أرضي يعني شباك بيته في قفايا، العريس والعروسة قاعدين في نص الحارة اللي هي متر، العريس لابس بدلة زرقا شتوي في عز الحر، العرق نازل منه من كل حته، وببسال

كل شويه هي الدنيا حر ليه؟، العروسة لابسة فستان أحمر وبتضحك على طول من غير مناسبة ولما ترقص عاملة زي القرد عبيط اخواته.

عادل بدأ صوت الضحك يعلو معه من الوصف وقال:

- على مهلك شويه يا مجدي كده شلّطت الفرح واللي فيه.

- سيّبي أكمل يا عدوله ولو ضحكت تاني هسكت خالص، الصول رمضان فوقنا عدل ممكن يخلي ليلتنا زي الراس السودا.

- ها ها ماشي يا أبو اسكندر قول وسمعي.

ضحكة خفيفه ثم أكمل:

- العريس بسلامته اتسطل ع الآخر تقريباً بياخد برشام وتقلّ العيار، فجأة قام وانا بغّني لفريد "يا عوازل فلفلوا" والنّاس هايصه معايا، قالي بصوت مهزوز ومش صالب طوله إنما بيصرخ... يلا يا ابني سمعنا "كتاب حياتي يا عين" بتاعت حسن الأزرق، قلّتلّه مش حافظها يا اسطى، لقيته رفع عليا حاجه زي السيف بس صغيره وقالي: غني يا وحيد كتاب حياتي بدل ما تبقى آخر ليلة في حياتك.

عادل حاول جاهداً كتم الضحك، فلما لم يستطع الاستمرار أطلق ضحكة شقت جدار الظلام الصامت، غضب مجدي وقال:

- كده قشطه ضمنا ع الاقل حبس، أنا هاقوم ابعد عنك.

أخذ عادل يتودد إليه ليكمل مع وعد بكتم الضحكة حتى لو مات، اقتنع عادل وأكمل بحذر:

- قعدت أكرر في جملة كتاب حياتي يا عين والفرقة في حة وأنا في حة
تانية.

عادل استفسر بهدوء:

- هي الفرقة اللي كانت معاك عبارده عن إيه؟

- طبجي درجة أولي ومعاها عم يونس على الأوكورديون.

عادل مندهشاً:

- وإيه تاني؟

- بس كده، دي فرقة الأحلام ياابني .

عادل ساخراً ضاحكاً:

- فعلاً فرقة جبارة فشر الفرقة الماسية بتاعت أحمد فؤاد حسن، كمل يا
مجدي عشان الليلة تعدّي.

- اتريق براحتك عادي، المهم كل ما آجي أدخل في أغنية تانية يقوم
العريس يحط السيف على رقبتني فارجع أغني كتاب حياتي يا عين،
ماطولش عليك العريس خد العروسة وساب الحفلة وقالي كمل يا وله لغاية
الصبح، دخل هو وعروسته الشقة اللي في الدور الأرضي اللي شباكها
مقفول بس لازق في قفايا وسامع بودائي كل حركة فيها، سمعته بيقول
للعروسة عسل يا بت، قائلته ناكل الأول الفرخة اللي أمي بعتها لينا، قالها
مش جعان يلا بقي، بدلع الحريم ردت عليه يلا إيه مش فاهمة، انفع
عليها و قالها استعبطي واعلمي لي فيها هبة، وبعدين سمعت خبطة جامدة
أنا قلت قتلها، بعد كده سمعته بيصرخ ويقولها: هو فين ده البكر الرشيد

اللي قاله المأذون؟ لا لا أنا اتغشيت وضحكتموا عليّا وربنا هاخلّيها دم للركب، ردت عليه وقالت يا كذاب المأذون قال الثيّب مش البكر، بكر إزاي وأنا متجوزة مرتين قبلك.

عادل لم يتمالك صرخ وضحك حتي البكاء، بعدها سمع الصول رمضان من أعلي:

- طقم خدمة السلاحليك يدور نفسه مكتب الصبح، أيامكم طين معايا.

نظرة عتاب من مجدي لعادل قائلاً له:

- شوفت يا بركة؟ اللي حسبته لقيته، اهبط بقى وبطل ضحكة الصرصار دي.

عادل وهو كاتم صوت ضحكة الصرصار:

- خلاص وحياة أبوك كمل، الهم اللي جوايا خرج، وحياتي عندك تكمل والصبح هقول أنا اللي كنت بضحك من نفسي ولوحدني واعمل أهبل، يلا بقى يا مجدي وحياة الغالي عندك كمل.

كان مجدي الاسكندراني له رغبة في التكملة:

- وبعدين أفتح الشباك وخبط في دماغي من ورا، ولقيت العريس ماسك رقبتني ويقولني مش قولتلك يا وله غني كتاب حياتي يا عين؟ أنزل يعني اشركك؟

عادل متخيلاً المشهد وصامداً وعيناه تدمع من الضحك المشنوق وقال:

- كمل يا أبو الأمجاد يا عسل.

- العريس ساب رقبتى وابتدا يصرخ في المعازيم ويقول: طلعت سايبه مش
بكر عشان تبطلوا قر يا حارة فقر، وربنا من بكرة هتجوز عليها واجيب
واحدة بكر و واحدة رشيد والتالته أبو قير وكلكم معزومين على الفرح
بكرة بالليل، و مسك رقبتى بعنف وكمل كلامه... : والواد ده هيجي الفرح
يعني أحلى أغنية بيقولها " كتاب حياتي يا عين ".

اتفجر كل منهما من الضحك حد الصراخ ومجدي قال بصوت متقطع:
- يلا مكتب مكتب... وحياة راس عادل السودا ما أنا خايف، هيئ هيئ
هيئو.

الفصل السادس



هل للإنسان أن يموت مرتين؟ قطعاً نعم بل من الممكن أن يموت مرات خلال عمره المحدد من خالقه سلفاً، كم من الناس يمشون على الأرض بحسبهم لجاهل أنهم أحياء ماداموا يتنفسون ويقتاتون ويسعون في منابها، كل منهم يعلم موعد موته ولا أحد سواه، فقد يكون هذا الموعد فقد حبيب رحل ولن يعود، هو لموت الغير مرتبط بسنوات عمره المستمر معها لحين نهاية أجله، وقد يكون موعد موته فقده مبادئ وقيم استحلت استرجاعها فتوقفت معها لحياة بالنسبة له.

شيماء وما عاشته منذ زواجها ماتت وهي حية ترزق، تأتيها فاجعة أشد وأكبر بفقد عاشقة عينيه وعاشق لمسات يدها التي تعبر لها عن حبه لها، كان جسده المسجى الآن فوق سريريه يشعر بمعاني والمرارة منها، تارة تعني ليس لي خيرك سند يا ولدي، تارة لا تلومني بأني أنجبتك في هذه الحياة والمرارة أغرقتك فيها بيدي العاجزة، تارة أخرى هيا نعيش الأمل في الغد عند تكاتفنا، فلا تتخطى عني آخذاً أبائك قدوة لك، بل كن كأخواتك

وأهلك بالشرقية بلاد الكرم والأصالة، فرمز مدينتهم الحصان فكن يا حبة القلب فارساً نبيلاً مثلهم.

سالم حاول مشاركة أهل الشرق أو أهل الشر حسبما يفعلون، اتصل عليهم يبلغهم وفاة ولده البكر على إثر انفجار لغم تم زرعه والمقصود منه غيره، فتح مايك الهاتف وقال:

- الو أخوي أبو الوليد، ولدي حميد مات من إصابته؟
- عارفين يا سالم، هادا أمر ربنا، كلنا أموات لحين يصير الأجل.
- وايش هتعملوا وياي ؟
- بصوت أعلى وبحدة:

- ايش تريد نعمله؟ نرجعه حي؟
- فاهمني أقصد إيه يا أبو الوليد، هو انت ربنا منشان ترجع ولدي للعنينا؟
- اسمع يا سالم، الكبير ابتدا يقلق منك ومن طلباتك وطريقتك لما تطلب ديما شينة.

- هو الكبير حاسس بالمرار اللي أنا فيه دلوك، لو حاسه صُح وعارف مصيبتني كان يواسيني.

- يا ولدي انت لساتك عضمك طري وما شفت شي، تعالى عندينا وشوف كيف الرجال بتموت عشان القضية، إن شفت أمهاتهم في الجنازة كيف صامدين، كنت تعرف كديه إنك لسه عضماتك ليئة و...
- يقاطعه سالم في غيظ:

- عنديكم قضية مثل ما بتقول، هنتي قضيتكم إيش؟
- عنديك مهمة لحساب غيرنا اللي بيدفع مصاري منيح، نصرف منها على قضيتنا وشعبنا يعيش.

- قضيتكم؟ ها ها الكلام ديتي تقوله لحدن غيري، قضيتكم بقت حسابات في بنوك الدنيا كلاتها وكيف تصير كام كل يوم.

صمت تليه صرخة مدوية مع استخدام صيغة التهديد:

- والله وبقيت واعر يا سالم، لكن اسمعني منيح، إن لسانك ضل ع الحديث بشكله الشين ديتي، كلاتها رسالة موجهة من اهنة تشيلك وتشيل بيتك ومزرعتك وولادك من على وجه الأرض، أقفل وغور يا مخبل.

لعات سالم هذه المرة أشد، طالت أم المتحدث وأبيه ودينه وبلده وقضيته المزعومة، تحرك والغضب طافحاً منه نحو منزله قاصداً غرفة الصبي الراحل حميد والأم مازالت محتضنة لجثته:

- لساش على حالك كك هترجعيه دنيته من جديد، يلا همليه وقومي جهزي قعدة العزا قدام الدار.

- ريته يعود وأنا أموت مكانه.

سالم بسخرية:

- بطني تخاريف من ساعة ما التقيتكم اليوم وانتي خرفانة، تتحدثي عن خيالات في راسك، لكن أنا هريحك وأقولك سري... عندي نفقين واحد في المزرعة والثاني تحت في أوضة الضيوف، لولا المصاري اللي بتيجي منهم كان ما حيلتي شي، وأقولك كمان... كل البيوت اللي حوالينا فيها

أنفاق وعائشين على حسّهم، اللي بيشتغل فيهم تجارة رايح جاي، واللي بيعمل حاجات تانية كتير، خابرة كلنا لا شغلة ولا مشغلة نامل ونفتح بيوتنا كيف؟

اهتمت شيماء بما سمعته أول مرة وبهدوء المريضة قالت:

- الحلال كتير في كل مطرح، لكن الطمع بيعمي العيون لغاية ما يقفلها التراب، ريت الواحد مصيبته فيه لكن في اللي حواليه، اها ولدك راح من عمل إيدك فين مصاريك وتنفعه كيف؟ قولي النفق اللي في آخر المزرعة بيدخل ويخرج منه موتوسكيلات؟

- وعربيات كمان، فيه ناس عنديها بيارات بنزيم وسولار ليكسبوا ذهب أكثر من الحشيش، دا انا أفقر واحد فيهم.

- يعني الناس اللي بتيجي من الشرق ديتي عشان يفجّروا ويقتلوا انت عارفهم وعارف سرهم؟

صمت سالم وأخذ يفكر في أمر ما يجب عليه عمله لتسرعه بإفشاء سره، ونظر اليها نظرة طويلة حادة وقال:

- قومي معاي تعرفي كيف يشتغل النفق من عندينا، اها تبقي تقفي مكاني وقت اللزوم.

بإندفاع وثقة:

- ياخذني ربنا يوم ما افكر إن أكون خاينة، افتح المرواح والتكليف عشان حبيبي حميد ما يقلقش م الحر.

نظر اليها باستخفاف وفعل.

ضوء النهار يستعد للزحف في خجل من وجوده في هذه المنطقة ونوعيات من البشر لا يستحقون نور الله، الوردية الثالثة من حراسة موقع مخازن التوريدات والتعيينات تألفت من المجندين أوزوريس وعادل عسران السائق وعارف موسى "الفجري" كما عودهم أن ينادونه، أدى عادل وعارف صلاة الفجر قبل الشروق وقام أوزوريس بالواجب بأمانة وحب حتى عاد عادل يستلم مكانه حسب الوقت المكلف به، صلاة الفجر جعلت النشاط يدب في أوصال عارف وبدأ نشاطه في الحديث عما تختلج به نفسه بعفويته الشديدة دون تحضير بعدما قام بتذكيرهم بالكتالوج الخاص بلهجته حتى لا يعيد عليهم ترجمه كلماته بعد وصول مجندين جدد :

- عارفين يا ردالة عند مرت أبوي الله يرحجها واشوفها مولعة زي ما ولعت ببني وبين ابوي اللي بجي خورجة مبلولة في يدها تعصره وتنشفه على كيفها، مابجيش ابوي واصل بعد ما خلفت له أربع ولاد غرج فيهم وبجيت هي اللي ماسكة له الكرباد وسايقه العبط والهبل، أول ما تنادي عليه يا موسى.. موسى، يطير عليها كنها فرعون جوم تقومه عليه وتجوله عارف هيجعد اكده زي البننة في البيت... وأكون يدوبك رادع من الغيط شقيان، ابوي تجريباً عنديه زوهايمر يقولي ما تجوم يا عارف يا ولدي تشوف شوغلانة تديب منها مساريك وينسى إني من دجيعة عطيه في يده مية دنيه صحيحة، وهو طوالي عطاها ليها وجالها خودي يا "فرخندة" يومية عارف.

لم يستطع أوزوريس الصمت فاندفع:

- قوالت إيه يا فجري، قوالت فرخنده صُح؟

ببساطة وعفوية رد عارف:

- أيوه اسمها فرخنده، أصل أمها باين عليها خلقتها في عشة فراح هو هوهو، وبعدين انت اسمك بربريز... وداي تتريج على اسم مرت ابوي فرخنده؟ إكده لع لع إلا مرت ابوي الله يجييدها بنار دوهنم.

أوزوريس خشي غضب عارف منه لكنه عاد بعدما لم يجد أثرا لغضب وسأله:

- ألا قولتي يا عارف، أنا شايك ضارب الدنيا صرمة طب لما تطلع م الجيش هتعمل إيه؟

يسند عارف ظهره على الحائط ويغلق زراير جاكيت البدلة ويقول في تواضع العظيم:

- شوف يا دمبريز يا ولدي، أنا داتني حكاية في راسي تحل كل مشاكلني مع مرت ابوي وأبوي معاها.

أوزوريس مندفعًا:

- إيه هاتقتلها؟

- لع أخليها تجتلني وتروح "السدن" بعدها... اعيش مع ابوي مرتاح يردع ثاني ابوي اللي أعرفه واشيله على راسي وأجول ابوي ردع له عجله من دديد، (ثم أخذ في البكاء مع النحيب).

انزعج عليه أوزوريس وأخذه في صدره ويقول صلي على النبي يا عارف
الذي بدوره قال:

- عليه الصلاة والسلام، يا أوزو جولت لك أنا فجري مش عايز تسدقني
ليه؟ والله حبيبي يا أبو الازوار، ياك كنت فاكرنى "حدر" ما بيحسش.
ضحك كل منهما بصوت عالى بينما انتهت وردية الحراسه مع بزوغ
شمس الله على قلوب لا تعرف للغدر طريق.

سالم لم يأمن جانب زوجته بعدما أفضى إليها سره وأن كان ليس
كاملا، لحظة اعتبر نفسه فيها ساذج لكنها كانت محاولة لكسب تعاطفها
معه وأن يوعز لها أنها أهل ثقة له، ربما لا يعلم أن الخائن لا يثق في أحد
تلك تسمى "إسقاط"، مرض نفسي يسقط المريض فيه على الآخرين ما
أبتلي به، فإذا كان لصًا نظر للجميع على أنهم لصوص وهكذا، أخذها نحو
النفقين وشرح لها كيفية العمل بهما دون إشارة للمقابل المادي الذي
يحصل عليه، بادرت به بسؤال:

- على اكده ضميرك مريحك؟

رد منفعلًا:

- ضمير إيه وزفت إيه هتعملي فيها السيدة نفيسة، ده سعي ع المعاش
والأ ما نعرف ناكل ولا نركب عربية ولا نعيش في الدنيا من أساسه.
بهدهوء شديد:

- نخلص جنازة حميد وكل منينا يروح لحاله واخذ عبلة وسليم وأعواد على أهلي.

انفعل سالم وصاح:

- قسماً بالله ما اني مطلقك عايزة تمشي وحديكي غوري دلوك، يلا بالسلامة.

أخذت شيماء صدمة وإن كانت متوقعة منه كل تصرف وقالت:

- ورحمة ابني حميد ما اسيبك ولا اسيب حق ابني اللي مات.

يزداد انفعل سالم:

- بتهدديني يا مخبلة انتي، كذك اتجننتي.

ثم صفعها على وجهها المنهك فترنحت وسقطت أرضاً، ثم وقفت بصعوبة وقالت:

- بتضربني يا قاتل ولدك؟ ملعون أبوك على أبو بلدك يا خسيس يا خاين، يا..

لم يعطيها فرصة للمزيد وأمسك برأسها الضعيفة ولقها بقوة وغل كاسراً عنقها لتسقط مترنحة رافعة السبابة وقد فاضت روحها.

حملها جثة هامة ونزل بها النفق الجنوبي بالمزرعة وغطاه كالمعتاد بعد استعماله، وأخرج جهاز الاتصال للتواصل مع الشرق الجائر على اختلاف شاكلته:

- أخوي أبو الوليد مرحبا، عارف إنك زعلان مني، غصب عني ياخوي من اللي أنا فيه قلبي موجوع على ولدي وراسي مش في.

- عايز إيه يا سالم ما عنديش وقت.
- تساعدني يا اخوي ضربت مرتي وماتت وعايز اخلص منيها بدل السين والجيم والحديث يتبعتر وندخل كلاتنا في متاهة ما تستاهل.
- لا يا حبيبي انت ما تعرف حاجة عنينا تضربنا ولا حتى اسامينا الحقيقية، وحتى لو عرفت... مافيش حدا يعرف لنا مكان... ساهل علينا نغير مكاننا كل دقيقة لأي دولة كانت، نتكلم عدل أسمعك، إنما تخربط في الحديث أقفل ودبر راسك.
- يتراجع سالم في نبرة حوار ه ومستوى صوته ينخفض قائلاً:
- يا اخوي وسع صدرك معاي، اللي أنا فيه كتير علي إن أكون فيه وحدي، وايا ان كان احنا ولد عم، بربك قولني اعمل إيه، دبرني يا اخوي الله ما يرميك في ديقه.
- ماشي يا سالم هاشيع لك حدا ياخذ جتة مرتك وندفنها اهه.
- سالم وقد أتااه الفرج قال:
- الله بستر عليك اخوي أبو الوليد.
- قاطعه بحزم:
- دير بالك ديتي مش خدمة، ديتي مصلحة هتدفع عليها عشر آلاف دولار رسوم النفق.
- وي وي وي ليه اكده، المصاري ديتي كلاتها أجيبها منين؟
- معاك يا سالم مصاري وكتير كمان، خلصني هتدفع عشان ناخذ موافقة وزارة الأنفاق ولا تخلي جتة مرتك عندك؟

تفكير سريع وخوف من القادم عند بقاء جثة شيماء وقال:

- حاضر يا أخوي الأمر لله موافق... إبعث الرجالة منتظرهم ومعايا المصاري.

واصل سالم أفعاله الشيطانية هذه المرة الاتصال بهاتفه المشترك علي شبكة محمول مصرية للتحدث إلى رمز من رموز الخيانة بأرض سيناء الطاهرة قال وهو يجهد بالبكاء:

- عمي أنا في مصيبة يا عمي، ولدي حميد لقيته مات بعد ما كنت عندك أمس لغاية المساء، لقيته مرمي في الخلا وحديه بعد ما أمه قالت له يروح يرعي الغنمات وهو يا كبدي مجروح من النغم اللي شرحلتك انضرب بيه كيف.

- جيت الدار لقيتها طفشت مش قاعدة فيه، خايفه ازعلها لاجل ما عملته مع ولدها بعقلها الصغير وكان سبب في موته.

- آه ياريت تقابلني نروح نقطة الشرطة والصحة أقدم بلاغ عشان ندفن المرحوم ولدي حميد، ما تنساش يا عمي الله يباركنا فيك تشيع للرجالة يكونوا جنبني لاجل الدفن، السلام عليكم ... اتفضل اتفضل في أمان الله.

لم يكتف سالم بهذا بل أيقظ عبلة ابنته ونبه عليها ألا تتحدث مع أي أحد في أي شيء وإلا سوف يضربها ضرباً مبرحاً، ما عليها إلا رعاية أخوها الصغير سليم إلى أن تأتي أمهما بعدما تعود من عند أهلها وأخيها المريض.

استعد مجند عادل جاويش اللص التائب للقيام بإجازة استثنائية منحها له زميله السوهاجي عارف موسى رمز الرجولة وخفة الروح، عندما أثره على نفسه حتى يكون بجانب زوجته وقت ولادتها طفلها الثاني ورعاية ابنته الأولى المصابة بسرطان الدم وتحت العلاج، التف الزملاء حول عادل يرجونه شراء بعض السلع لهم وهو عائد من إجازته، لعلمه معهم أن أسعار السلع هنا مرتفعة جداً بالمقارنة داخل البلاد رغم ما يأتي من الداخل يغطي احتياج والسكان بوفرة، إلا أن معظم الوارد صادر لمن لا حق لهم فيه، وهناك من يساعد بغية التربح والغنى المشبوه على حساب أصحاب الأرض، هناك مقولة تقال دوماً في مثل هذه الأحوال "خيرنا لغيرنا وعايزين يهدوا حيلنا".

تقدم عادل من عارف موسى يشكره على صنيعه و مروءته قائلاً:
- اللي عملته معايا يا فقري مايتمعلمش غير من أخ أكون عزيز عليه، جميل مش هانساه عمري، هاخلي أمي تدعيك... قولي تدعيك بياه؟
- تدعيني إن ربنا ياخذ فرخندة مرت ابوي، بعدين أحييك حكايتها من دديد، بس دلوك طير على مرتك وما تجفش كديتي زي الجرد الخزيان من حماته بعد ما ضرب مرته بالذرمة.

الجميع يضحك لكن عادل يلح على تحليل ما قاله الفقري وسأله:

- مين القرد الخزيان يا عارف؟

عارف يرد بغفوية:

- إيه لاه انت ماتعرفاش؟

- لع مانعرفاش.

- كيف مع إن ملامحه هي ملامحك تمام إلا الشنب، هو هو هو هو، يلا بقى
يا عادل يا ولدي طير وماتديش حادة لحد ما يستهلوش... وكفاية عليك
شيلة الفول والحمص وشوية الشكليطة بتوعتي.

الجميع يحاول افتراس عارف إلا أنه قال:

- اصبروا يا دزم... جاصد أضحك معاكم يا فجارة.

(ضحكات رنانة انطلقت تشق غمامة هموم النفوس المغطاة ببسمة الأمل).

شخصية عارف موسى فرضت نفسها بالحب والشهامة على الجميع،
برغم مرحة الذي أحياناً قد يبالغ فيه بعفوية لدرجة أنه جعل حسين زميله
يقوم بكتابة ما أطلق عليه منشور لهجة عارف الفقري كي يتواصل معه كل
الموجودين بالمعسكر من توضيح نطقه للحروف بلهجته الصعيدية مثل
ال(ج) التي ينطقها (د) و ال(ق) التي ينطقها (ج) وكذلك بعض مصطلحات
خاصة ببيئته، إلا أنه يلتزم حدود الأدب كما طبيعة أهل الطين الطيب في كل
أنحاء نجوع وكفور بلادنا السمرء حنوة الملامح جميلة الطباع، وإن حدثت
عاصفة رملية كست بعض ملامح الجمال فيها، حينها ننتظر فرج الله
والغيث في ظهره ينزل ليكتسح التراب ويغسل النفوس حينها ويلمع بريق
الذهب فيها من جديد.

وقت تناول وجبة الإفطار في مطعم المعسكر أو كما يطلق عليه
"الميز" وما نسي من هم مقبلون على فطورهم أن يكونوا على أهبة
الاستعداد القتالي ملبساً وعتاد، لذا يطلق عليها "الشدة الكاملة".

الجندي عارف حباه الله بمهارة التقاط المهموم دون عناء، ثم تسوقه فطرته السليمة نحو استخدام الممكن في تحقيق المستحيل الذي يتمثل في إزالة هموم البشر وما أكثرها وأثقلها، وحين تأخذ صورة الاستمرار المتلاحق يكاد فيه حامله أن يستسلم ويبقى صريع قهره المرض ودبت فيه شيخوخة في عمر الشباب.

ألقي عارف نظرة الحاذق في المودة، فوجد الشاعر حسين ابن الإسماعيلية مرسوم على وجهه ملامح غم، دخل عليه مبتسماً وقال :

- ادخل دوّه عايز اجعد دارك.

تأفف حسين من الطريقة وقال:

- ما تقعد يا عم في أي حتّة.

رسم عارف على وجهه الدهشة وكأن عادل قام بسبه فنظر له نظرة سريعة متفحصاً وجهه وقال:

- أنا يا ولدي ماحدّش يتدراّ يرفض لي طلب، عارف آخر واحد رفض لي طلب فين دلوجتي؟

- أيوه عارف في المستشفى.

- لع يا فالح، لسا شي نوادي مستشفيات وكل وشرب ونوم وعلا... على طول ع الساحل الشمالي طوالي هو هو هوووو.

ابتسم حسين ابتسامة أسعدت عارف:

- أها كده أنا بس اللي فجري ماعيزش حد ينافسني، جولي بسرعة مالك
موكوس ومتجندل، إوعاك تستهتر بيا وما ماتجولش الحبيجة أو تقولي
موضوع تاني هتلاجي الرادار لجطك وسخطك جرد، يلا جول.
- عارف يا عارف، ساعات أحس إنك الوحيد اللي فاهم الدنيا صح، مفسّي
دماغك وعائش حالك.

عارف نظرة المعترض قال:

- مفسّي؟ كلامك ريحته نيلة، اعدل كلامك يا ولدي وجول.
- بعد كلام الحب والدلع اللي بيني وبين حبيبتي بقي كلامها ناشف
مافيهوش ريحة وطعم الحب زي زمان، شاكك يكون في حد ظهر في
حياتها ظروفه أحسن و باعتني، يا عارف إنت مهما قلت لك اللي كتّا
بنقله لما نتقابل أو في التليفون يشيب طفل مولود، كان مجرد نظرة في
عينها الجميلة أروح معاها في دنيا وأحس إني طائر معاها في سما صافية
راحين للقمر، أقولها كل العشاق شافوا القمر، بس عشانك انتي القمر لازم
تزوريه وتقعدي فيه ولما نصحى من حلمنا نشوف إن القمر كان قلبي
و.....

صرخ عارف صرخة لفتت نظر كل من في المطعم وقال منبهراً:

- يا ولدي على مهلك علي... جربت اعملها على روعي... هو فيه اكده يا
ناس؟ وانت بعجلك الصغن شاكك إن البت ديته هتهملك وتروح لواحد
تاني؟ دي تبجي بنت ستين كلب، فوج دي وساوس ده تجل وجلع بنااويت
ماصخ وانت مفرفر... تعرف كانت مرت ابوي فرخندة الله يرحها تعمل

زعلانه منيه وبعدين تنادي عليه برجة في الليل، الصبح تكون مخلفة عيل،
هو هو هوووو.

ضحك حسين ضحكات كأنه أول مرة يضحك في حياته ثم سمع رنة
هاتفه كانت رسالة من الحبيبة تقول فيها:

سامحني يا سحس قلبي كانت ماما تعبانة ما عرفتش أكلمك، بحبك بحبك يا
عمري اللي جاي.

فقرز حسين من مقعده، واحتضن عارف بقوة وأخذ يقبله بينما عارف
يصرخ فيه:

- مش أنا يا مدنون... أعجل لما تجابلها... عيب عليك يا حسين دا أنا رادل
وسيد الردالة... الله يجطعك انت وفرخندة في ساعة واحدة، ثم أخذ صينية
فطور حسين قائلاً:

على أكده انت شبعت. خطفها واخذ يضحك من قلبه المهموم بالقلوب
المهمومة.

الفصل السابع



لا يتبقى نمرء أي إحساس بالحياة إذا هسى القلب وتحجر مع قناعة العقل أن هذا الحق بعينه ولا تراجع بل مزيد من القسوة يعتبرها الجاهل أنها مزيد من النجاح، هذا الغفل قد يظن غلوة منه أنه قد يفر بفطنته أو أفعاله التي طبق عليها وأطبق فظاظة حقد النفس الكامن فيها متربعا فتصيبه سعادة انفاعل الماهر بحسن تدبيره، نسي أو تناسى من اعتمد على عقله ضل.

سالم القائل المباشر وغير المباشر أقام عزاء ينيق بثروته وجميل سمعته بين قبائل انبدو مجتمعين ومتفرقين، علاقتة بين الجميع طيبة ومستقرة وما أحد منهم يعرف سره ولا أفعاله، اللهم أنه تاجر مواد غذائية ناجح يجمال الجميع سهل إذا باع وإذا اشترى، هز خبر وفاة وئده الأكبر حميد وفرار زوجته الجاحدة أوساط أهل الصحراء المجاورين له والأبعد عنه وأخذ التعاطف والترحام يسقي إليه دون جهد منه، منهم من أتى إليه بمال ومن أتى بالخدمات والمساعدة في تكاليف العزاء الذي يقدم فيه الطعام انبدوي كرماً وتكريماً.

الجميع يود الاستماع إلى تفاصيل مصيبة سالم المزدوجة وكلما سرد لهم حكايته الأليمة بطريقته اللينة بكت العيون واهتزت القلوب وهانت على المستمعين الحياة بأسرها التي لا يستحق سالم فيها غدرها وأن تلطمه تلك اللطمات الأليمة التي يعجز عن تحملها أعتى الرجال، بدأت نصائح الحضور بأن لابد له من الزواج فوراً بامرأة تخفف عنه أوجاعه وتعينه على تربية ولده وابنته الذين في عمر الزهور، وأيضاً المنزل والمزرعة يحتاجان إلى خدمة امرأة شابة قوية تليق به.

أخذ سالم الجميع نحو بكائيات وقال:

- ما همني نفسي أبداً، همي كله في عبلة وسليم كيف أربيهم وأنا مشغول عنهم، كفاية علي فقدت ولدي الكبير بسبب إني سبت السايب في السايب لأمة الله يسامحها ...

يقاطعه شيخ كبير منفعلًا:

- الله لا يسامحها ولا يجعل ليها أثر خير في الدنيا ويجعلها من أهل النار.

يرد الجميع عدا سالم بحماس:

- اللهم آمين.

نظرة إعجاب من سالم نحو الجميع قائلاً لهم:

- ربنا ما بيسيب حدا، يمهل ولا يهمل.

الشيخ مازال يحيا نفحة الإيمان:

- الله يفتح عليك يا ولدي، نعم الرجال المؤمنين بربهم فزادهم ربهم هدى.

سالم في سكونة:

- ربنا يبارك لي فيكم وما تشوفوا مصيبة في أحبابكم.

أخذت النسوة المصاحبات لأزواجهن في العزاء الحمية والنشاط وقمن بتنظيف البيت والمزرعة وعادت كل جنبااتها تلمع وتترزين، نشاطهم هذا وقوده التعاطف مع رجل تمردت عليه امرأة من داخل مصر لا أصل لها ولا جذور، إلا أنها تسببت في موت ولدها وهربت تاركة أخويه بدون شفقة أم حتى ولا رحمة إنسان، سالم سعيد بما يرى ويتمنى أن يأتين يومياً، بين الحين والآخر يتنحج ليستأذن بالدخول عليهن لتقديم واجب الشكر متمنياً لهن جميعاً السعادة وراحة البال التي افتقدنها منذ زواجه بالمرأة الهاربة.

فرحة الجندي عادل جاويش اللص التائب بهذه الإجازة الغير مرتب لها لا حدود لها، سويغات قليلة ويأخذ طفلته المريضة بالسرطان تنام على صدره يقص عليها بطولاته، وأيضاً تسمع منه حواديت أسطورية فيها مبالغات وتهويل والتي تنتهي بضحكة من القلب الموجوع بمعاونة المرض، ثم يعرج إلى ست الحبايب طالباً منها حزمة من الدعاء لسبب لا يفصح لها عنه أن تفك الكرب الجاثم على صدره منذ كان لصاً يسرق جيوب الناس ومعهم أحلام أطفالهم وربما فيهم مساكين ويتمى.

تحول خيال عادل إلى وليده القادم، يمنحه فرحة تخفف عنه ما هو فيه وأخذ يردد اسم المولود على لسانه بتأني محمد عادل جاويش، نغمة الاسم على لسانه صورت له أن هذا الأسم لا يكون إلا لوزير أو محافظ وعلي

الأقل رتبة عسكرية، أخذ يقلّب في هاتفه متابعًا أية رسائل من زوجته أو أحد من أقاربه وينظر للهاتف قائلاً " يلا بقى عايز افرح".

كل الأماني والتخيلات هذه عاشها عادل وهو مستقل لسيارة أجرة، ود أن تطوى الأرض طياً، إلا أنها حتى حينه لم تتجاوز حدود الصحراء واللون الأصفر فيها، رسالة متأخرة لسوء حالة شبكة الاتصالات في هذه البقعة تقول "مبروك أبو محمد" مراتك ولدت يا عادل مع تحيات عمك اللي بيحبك.

قفز فرحاً من مقعده فأصابه ألم في رأسه حيث اصطدمت بسقف السيارة من الداخل، نظر إليه الراكب بجواره على أنه مجنون لكن عندما أمعن النظر في بدلته العسكرية عرف أنه عاقل، فالجيش لا يجند مجانين.

ظل عادل يقرأ الرسالة مرات والقلب يرقص فرحاً، السيارة هدأت من سرعتها ثم توقفت تماماً، يقابلها رجلان ملثمان يركبان دراجة بخارية ثم يشير أحدهما لعادل بالنزول منها، ما أن نزل على أرض الطريق أطلقا عليه دفعتي رشاش كاملتين، فسقط على الفور والدماء تندفع من كل جسده بغزارة إلى أن توقفت بعدما نفذت، تلك اللحظة رسالة على هاتفه بصورة وليده اليتيم محمد عادل جاويش.

في العاشرة صباحاً استقبل المعسكر جنود تم إنهاءهم فترة التدريب الأولى بمعسكر التدريب بالداخل، وعليه تم توزيع كل منهم إلى وحداتهم القتالية حتى الانتهاء من فترة خدمتهم العسكرية حسب القوانين العسكرية

صارمة التطبيق، المجموعة مكونة من أربعة جنود برفقتهم عريف متطوع من مركز التدريب يحمل ملفاتهم ويسلمهم لوحدهم المقررة لهم، الجنود الأربعة سعداء باختيارهم موقع خدمتهم المستقرة في سيناء، بالفعل تم تسليمهم لمساعد تعليم المعسكر رقيب أول رمضان، بدوره وزعهم بالمبيت وأضافهم الى قوة التعيين أي الوجبات الغذائية المقررة للجميع.

في الطريق إلى المعسكر، تم تعارفهم بعضهم البعض وزالت الحواجز النفسية بينهم وبدأ حوار المرح للقضاء على ملل الطريق، منهما اثنان ينتميان إلى وسط الدلتا بالقرى الطبية وأهلها الذين دوماً يحبون قواتهم المسلحة بشدة، لدرجة رغبات كثيرة للتطوع في صفوفها إن كان حظهم قليل في التعليم ولم يحصلوا على الثانوية العامة شرط التقدم للكلديات العسكرية، ثالثهم شاب بورسعيدى بلهجته المميزة، وبدأ للجميع أنه مندفع ومدعي الفهلوة، رابعهم شاب من مدينة فارسكور محافظة دمياط حيث قدسية العمل هناك منذ الصغر.

أوزوريس لمح وجوها غريبة، فأطمأن نسبياً أن هناك من أتوا ليتاح له قسطاً من الراحة في الحراسة الليلية والتي باتت يومياً بلا توقف، تقدم لهم مرحباً مع رغبة التعارف بهم عل منهم أحد يكون من محافظة المنيا وقال: - حمدا لله علي سلامتكم يا رجاله، المعسكر هنا الناس فيه عيلة واحدة بنحب بعضياتنا، يلا بقي عاد كل واحد يقول اسمه وبلده وبishtغل إيه في الملكية.

- شادي فياض من بورسعيد يشتغل تاجر ومستورد، وانت بقى اسمك إيه
يا دفعة؟

- اسمي أوزوريس مكرم من المنيا.

شادي والحذافة تعتريه:

- إيه؟ اسمك إيه؟ أوزو إيه؟ اكتبها لي كده أو استهجاها عشان مش راكية
معايا وأنا يدوبك دبلوم تجارة أخذته بالغش.

العسكري الدمياطي مدبولي يتدخل للتخفيف :

- لا هو انت يا شادي ماعرفتش قصة إيزيس وأوزوريس وانت في
المدرسة؟

يرد شادي بنفس الطريقة المستفزة:

- لا ياعم، أنا اعرف ديلسبس... بس كنت اروح انا والحتة بتاعتي أقعد ع
الحجر وهي جنبى... يللا بقت أهلها ظلموها وجوزوها وهي صغيرة
ملهاش في الطيب نصيب... سيبوني بقت اسرح اشوف المعسكر ده من
فين لفين، سلام احلوين .. جيشكم حلبة بالصلاة ع النبي هيى هيى.

ثم سرعان ما عاد منتفحًا وقال:

- خلى بالكم اجدعان أنا ليا راند ابن خالتي من بعيد هنا اسمه الرائد حسن
ومش فاكر اسم ابوه الصراحة، بس أمي و أمه متشاكلين من سنين، الكلام
دهوت صح يا أوزوبيس؟

لم يجد ردًا على ما قال سوي نظرات استهجان فسار فاردًا ذراعيه بخطوات
بين القفز والترنح.

حركة غير معتادة إلا في الأمور الجسام تمت بين مكاتب القادة جميعهم، وكانت بشأن استشهاد جندي المركز عادل جاويش الذي تم قتله بدم بارد دون مواجهة وهو الأعزل، اللهم أنه يرتدي بدلته العسكرية التي يتشرف بارتدائها كل من ارتداها أو لم يرتديها، إنها رمز الشرف والعزة، أسفرت الاجتماعات سريعاً على قيام سيادة الرائد حسن مصباح بالتحرك نحو موقع المشرحة التي بها جثمان الشهيد عادل، واتخاذ كافة الإجراءات والتدابير، للقيام بكل مراسم الجنازة العسكرية في مسقط رأس الشهيد، وتقديم واجب العزاء لأهله وذويه.

أشيع خبر استشهاد عادل بين زملائه، تجمعوا والحزن يغطيهم، يترحمون عليه ومنهم من أخذ يراجع ذكرياته مع الشهيد كأنه أمامه وبالفعل هو حي يرزق بقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، أقيمت صلاة الغائب على روح الشهيد عادل بأفراد المعسكر من جميع الرتب، يؤمهم في الصلاة الجندي مجدي الاسكندراني عذب الصوت، وكان له الأثر في الخشوع لجلال الموت الذي لن يستنتي أحد حين انتهاء أجله المحتوم فما حدث رغم الوجيعه فيه، إلا أنه زاد الجميع صلابه وعزيمة لن تلين لدحر هؤلاء الأتجاس من أرضهم المباركة سيناء الغالية.

الجندي عارف سلم نفسه لوساوس الشيطان، التي تسللت إليها كونه تنازل عن إجازته للشهيد عادل، ولولا هذا لكان هو الشهيد وعادل يعيش لأسرته وابنته المريضة ومولوده يربيهم في كنفه يسعد بهم ويسعدوا معه.

أثناء زحمة الرأس وما ألم بها من هواجس، التقى عارف بالجندي البورسعيدي "شادي فياض" يتبخر بجوار سور المعسكر كأنه سائح يشاهد آثار مصر العليا فأوقفه قائلاً:

[illegible]

لم يهتم شادي وقال:

- إيه ياعم الحركات دي؟ أنا ماحبش الحركات القرعة دي، خُلقِي دِيق وبتخفق بسرعة، يلا اخلع بعيد عني.

رد عارف بصوت مرتفع هز المعسكر:

- إيه يا عسكري يا بعكوك السيبيان اللي انت فيه ديتي، حط إيديك فوج راسك، ارجد وإيديك ورا ضهرك، نفذ الأوامر يا عسكري.

- ثم شد أجزاء السلاح كنوع من التخويف، الذي أدى بنتيجة ارتعد فيها العسكري شادي ورقد على بطنه ويديه متعاقبتين خلف رأسه، ثم أخذ يتوسل وقال:

- الله الله دي الحكاية قلبت جد، روّ بقى يا دفعة وحياة ابوك دا احنا زومل مناش إلا بعض، وربنا أنا جديد سيادتك هنا وماعرفش أي حاجة، دا أنا حتى من بورسعيد ومترحل من معسكر التدريب طازه.

عارف بصوت عالى محاولاً أن يكون خشن مثل الصول رمضان:

- ازحف یا عسکری، ازحف... ازحف.

زحف شادی علی بطنه بطیناً قائلاً:

- كده الافرول اتوسخ وانا مابعرفش اغسل، وبعدين بطني وجعتني، خلاص
بقى السماح يا شاويش.

أراد عارف أن يرأف بحالة شادي فقال له :

- انتباه يا عسكري، جولي اسمك ايه؟ ويتشتغل ايه قبل الديش؟

- اسمي شادي يا افندم شادي فياض حضرتك، تاجر من بورسعيد.

- تادر؟! هي التدارة عيلت؟! بتادر في ايه يا شادي الأبحان؟

مازال شادي يلتقط أنفاسه التي لازالت مضطربة:

- بصراحة واقف ببتريئة "فاتريئة" سجائر على رصيف " أورنة" ناصية

شارعنا ببيع سجائر وولاعات بس معايا دبلوم تجارة لا تفتكرني صايع.

يضحك عارف ضحكة سخرية:

- تبيع سداير وولاعات ف الشارع وتجول على نفسك تادر؟، يلا سريعا

مارش انصراف يا عسكري شادي يا تادر الدوخان المغشوش، و ابقى خد

المنشور بتاع عارف الفقري من حسين الشاعر يا ولد، هاو هاو هاو.

طار شادي مهزوم الفهلوة وهو يحدث نفسه مغتاضا:

- ايه الجدع الخانكة ده، دا لو في بورسعيد كنت شرحتة حتت، بس

بصراحة ثبتني ابن التعبانة، اه لو قلت للعيال ع القهوة اللي حصل فيا ده،

يقعدوا يقسموا عليا يبجي ثلاث أربع سنين كيبسة، يا خيبتك يا شادي وانت

عامل بورم ومططق طلعت خيخة واتفألست، لا ومن مين؟ واحد صعيدي

بأف مش عارف يتكلم بيقول ع التاجر تادر.

مالت شمس الله نحو الغروب مودعة قلوب وقلوب، قلوب تسري فيها
دماء الحق، وقلوب تنبض بالباطل غير عابئة بيوم لا ينفع فيه مال ولا بنون
إلا إذا أتت والقلب فيها سليم، خاب من نظر تحت قدميه حين التعامل مع
الآخرين في حياته تحت أي مسمّى حتى لو الدفاع عن نفسه، كما الكثيرين
الذين يأخذون لفظ الدفاع في الباطل ذريعة، لسفك الدماء ونهب المال بل
وقتل الأنفس التي حرم الله إلا بالحق مدّعين أنهم الضحايا والمعذبون في
الأرض.

سالم مازال يرسم على وجهه مسحة إيمانية كاذبة، توحى لمن يرى
وجه الذئب أنه راض بقضاء الله وقدره، رن جهاز الاتصال خاصته وسط
الجموع المرتقبة ولديها الأمل في مكاملة من زوجته شيماء تعتذر له
وتبلغه عودتها طالبة منه السماح، تنحّي جانباً بعيداً عن مجلس الغراء
فالم متصل طرف الشر من الشرق:

- أيوه يا أبو الوليد خير ياخوي؟

- عملنا الواجب والدفن تم في مقابر الصدقة، وصلينا على الأمانة صلاة
الجنّازة، بس الجماعة طلبوا مصاري تاني عشان المبلغ اللي شيعته ما
كفى كل الإجراءات، عموماً أنا كتبت على نفسي وصل أمانة بباقي المبلغ،
ياريت تشيعه في أقرب وقت عشان دول ما بيعرفوا الرحمة.

زفير طويل من سالم وقال:

- خمستلاف أخضر.

سالم مستسلماً :

- حاضر، وحياء راس أبوك أنا ما ناقص تعبان قوي يا ولد ابووي.
- حاسس بيك يا سالم، إنت لزمك مرة (زوجة) تاخد بخاطرك وتنسيك همومك.

- مين بس اللي ترضى لحالي ديتي؟
- موجود عندينا أرامل كتيرة رجالهم ماتوا ويبغوا يعيشوا وأي حال راضيين بيه، إيه قولك؟ هشيح لك صورهم على هاتفك وانت تنقي اللي تعجبك.

- اتفقنا شيع اللي يعجبك، أسيبك دلوك عشان العزا قايم والناس وحديها.
دخل سالم مجلس العزاء من جديد يحيي الحضور، يسير بينهم واضعاً يده على صدره، والوجه يمثل الوجوه المنهارة التي لن تقوم لها قائمة بعد ما أصابها من كوارث، يقول للجميع "شكر الله سعيكم"، ثم يتركه المعلم أبو الوليد طرفه من الشرق في الشر يرتاح على مقعده، أخذ يرسل له صور سيدات أشكال وألوان، الشقراء والبيضاء، القمحية والسمراء، والعيون بجميع ألوان العيون فيها نظرات أنثوية قالت الكثير وتخفي الأكثر، تصفح سالم سريعاً في خبائة حتى لا يراه الحضور وقال في نفسه والوهج يلفه:

- الله يخربيت أبوك يا أبو الشيطان نفسه.
يكذب الكاذب وينصرف مزهواً بصمتنا فيظن أنه المنتصر وهو الحقير، يظن البعض أن أفئدة الزيف ملتصقة الصنع والتصنع فوق الوجوه والسلوك ستبقى ثابتة على الدوام وهو لا يدري أنه الأعمى في التقدير،

ربما طوال وقت ثبات الأقنعة المزيفة تغري صاحبها أن الزيف بات حقيقة
لن تتبدل، فإذا به يتلقى صدمات الحياة والبشر صارخين في وجهه يقولان
تباً لك أيها الغافل.

معسكر الرجال خيمت عليه مظلة حزن قاتمة السواد، وظللت رؤوس
ونفوس الجميع، العيون وحدها هي بظلة الحكايات والذكريات وقت اعتقال
المشاعر المحبوسة خلف جدران الألم، هناك كلام لا يقول شيئاً وهناك
صمت يقول كل شيء.

عاد الجندي مؤهلات عليا وحيد عبد العاطي من إجازته القصيرة بعدما
ارتدى في حضن أمه التي هي كل ما له في الدنيا، حاول جاهداً أن يخفف
عنها صدمتها بابتلاء الله لها وإصابتها بسرطان الثدي بعد التأكد من
الفحوصات، وجوده أمامها فجأة كان له الأثر الجميل في رفع معنوياتها من
خلال مواعظه لها وهو قريب إلى الله ولحديثه تأثير بالغ على كل من
يسمعه وإن اختلفت المواضع، قال لها وهو يستعد للرحيل وعودته
لمعسكر الرجال في سيناء:

- يا ماما اعلمي من قهرت صعوبة الحياة وغلبت أوجاعها وحيدة بمفردها
حتى ربت أولادها هي ذاتها القادرة على قهر المرض فهو الأمر الأيسر،
استودعك الله الذي لا تضيع لديه الدائع، ادعيلي يا ماما.

بدورها ردت بصوت محبوس تغلبه الدموع وقالت:

- ربنا يا ابني يسعدك دنيا و آخرة.

انضم وحيد إلى قافلة الحزن في المعسكر، وفور تسليمه نفسه لـ
باشاويش السرية وضع في قوائم الخدمة والحراسة الليلية مع زميله،
الشاعر حسين ومجدد مدبولي من مدينة فارسكور محافظة دمياط، بدأ
توقيت الخدمة منذ ساعة الغروب وبدأ معها التعازي الحارة بين حسين
الشاعر وزميله وحيد، أما الثالث لم يعرف الشهيد عادل من قبل لكنه
شاركهما بروح الإنسانية، ووجدانيًا أنه من الممكن في أية لحظة غدر أو
بعد استبسال ينال ما ناله الشهيد عادل، صمت قطعه وحيد قائلاً:

- يا جماعة أي حد فينا يتمنى الشهادة والله يرحمه عادل أكيد دلوقتي
فرحان بما أتاه ربه واصطفاه عنا، الحياة كلنا فيها أكفان بتتحرك، الليل
هنا طويل يلاقونا حاجة بتاعتك تكون كاتبها عن الشهدا يا سحس.

مسح حسين وجهه وقال:

- بصراحة فيه قصيدة مش بتاعتي ولا حتى فاكر مين اللي كتبها، بس
حفظتها ومتوقع يوم ما حد يقولها لما استشهد أو أن اقولها عشان حد.
تأثر وحيد وقال ده الأجل يا صاحبي، يلا سمعنا:

- حاضر...

(وبدأ بهدوء مع توصية مدبولي باليقظة كون مسئوليته الوردية الأولى):

من إسبوعين ياخي	ماسمعت لك صوت
وانت شمسي وضوي	وضل شجر التوت
وحشني صوتك قوي	وموتك كسر ضهري

أنا جف نهري بموتك وحلمي اندفن في تابوت

تذكر حسين كل من استشهدوا، يعرفهم أولا يعرفهم، وأحدثهم الشهيد
عادل جاویش، ثم أجهش بالبكاء المر و رجاء من وحيد بالصبر والسكينة
والامتثال لقضاء الله وكل قدره خير.

الفصل الثامن



أنت رسالة من الشرق تطلب رأي سالم فيما أرسلوا إليه من سيدات
نضرات يرغبن الزواج الحلال، لديهن من المؤهلات الأكثوية، يمقتن
الوحدة والحرمان فيها، ويجيدن مهارات متنوعة تجعل منها سيدة بحق،
فلما انفضت مسرحية العزاء من القدامين لأجله اخنلى سالم بنفسه وما
فيها، يقرب رأيه في حاجته بالفعل لامرأة تؤنس وحدته وتلبي احتياجاته
الخاصة والمنزلية، خاصة أنه لا زال في مرحلة الشباب ويريد من الأولاد
الكثير ينفعوه في أعماله المتنوعة المشروع منها وغير المشروع.

أراد قضاء ليلته باحثاً ومتفحصاً عن امرأة ودود ولود، تسر العين
وتريح الجسد، ولما وجدها بين الصور أراد التأكد من المعلومات المصاحبة
للصور فاتصل هاتفياً بأبي الوليد المستعد لجميع الطلبات وقال:

- مرحبا اخوي وحبيبي أبو الوليد، جديات حبي ليك طافح ودي يا اخوي
اخذك بين يداي واقول فعلاً لقيت أخ حقيقي بعد ما فقدت خواتي كلانهم في
عمليات عشان القضية.

- فيه يا صاحبي جملتين يقولوهم المصريين، الأولى قول اللي في قلبك،
التانية هات م الآخر، عايزك استريت معاي لو عايزنا نبقي اصحاب، لكن
من ساعة ما بقيت مصري ماعدش فيك ولا منيك أمان يا خوي.
- هتزعلني ليش أبو الوليد؟ انت تعرف جذوري زين، ومع ذلك نريد
"مرة" م اللي شيعت لي صورهم اسمها "سهيلة"، ٣٠ سنه منيحة
ها المرة ديتي، أنا جاهز للجواز.
يقاطعه ابو الوليد:

- بس انت بخيل يا أبو سليم.
- اديني بس رقمها واتفاهم وياها.
- هشيع رقمها في رسالة، إوعاك تقصر رقبتي؟
- عيب ياخوي إنت خابرني زين.
- من ناحية خابرك خابرك كخخخخخخ

كاد الليل أن ينجلي وتختفي الظلمة بنور شمس الله المترامي على
أرض الله التي خلق الله الإنسان عليها، ليسعى فيها ويهلك الزرع والحرث
ويسفك الدماء، والله أعلم ما لا يعلم خلقه، عندما سقطت تفاحة واحدة
فأدرك العالم قانون الجاذبية، وسقط مئات الآلاف من الجثث ولم يدرك
العالم قانون الانسانية.

ورادي الحراسة الثلاث بمعسكر الرجال العسكري وقد وزعت على
مواقعها المختلفة داخل المعسكر وبوابة دخوله، لما أتى توزيع الجنود على

مواقع الخدمة والحراسة لها كان موقع مخازن المهمات والتوريدات من نصيب ثلاثة جنود كالعادة، منهم الفجري عارف موسى وجندي حديث الالتحاق بالمعسكر من وسط الدلتا ومعهما الجندي "شادي فياض" البورسعيدي نشأة وإقامة.

لقاء عيون عارف وشادي حملت معاني كثيرة لم يهتم بها عارف لما في نفسه من وجع الذكريات مع الشهيد عادل جاويش، إلا أن شادي داخله غضب من أثر ما فعله عارف معه وقت العصر، فأخذ ينظر إليه بحنق شديد مع نظرات توعده وانتقام، كسر عارف هذه الحالة وقال كأنه ما رآه من قبل:

- مرحب يا دفعة، كك في حادة مضايك في المعسكر هنييتي، أي حادة جولها لأخوك عارف الفجري وهو يخلصها طوالي، جول ما تتكسفش منبي، أنا رادل أعدبك صعيدي من سوهاد.
نظرة تملؤها شرر ولهيب من شادي وقال:
- لا والنبي يا شيخ، إنت بتشتغلني يا دفعة؟ يا جدع انت، قولتلك أنا بورسعيدي ماحدش يعلم عليا، ولو جيت عندنا في الزهور هاتعرف مين شادي البرنس في منطقة عمر بن الخطاب وعثمان وعلي.
يزيد عارف من ادعاء السذاجة وقال:

- رضي الله عنهم كلاتهم، مش انت قولتلي إنك جريب الراند حسن، طلعت كمان جريب الصحابة؟ يعني اكده ناخذ منك بركات وعلى اكده إنت داي انه غزوة إيه بالضبط عشان أجول للزملا ونظمّن، وكيف يعني تبجي

برنس؟! ... آه البرنس علاء في فيلم رد جلبي، بس ده ديتي جبل الثورة،
هو حضرتك في عصر إيه عصر الصحابة ولا عصر الملك ولا عصر
الجصب هاو هاو هاووو.

أمسك شادي بياقة بدلة عارف وقال:

- شوف اجدع انت هتسوق الهبل عليّا، أنا مجنون أصلاً وخلي أيامك معايا
تعدي أحسن ما اقضي بقية خدمتي في السجن.

عارف بهدوء وتعاطف:

- يا ولدي باين عليك جلبك طيب ودواك نضيف وبوج ع الفاضي، أنا زييك
وديتي اللي مصبرني في الدنيا اللي عاطياني ضررها ومغربة عني، اخزي
الشيطان أنا بهزر امعاك يا برنس، يلا خد من يدي الدوفاية ديتي، غمض
عينيك وكولها عشان بايظة من دوه.

شعر شادي أنه أمام حالة فريدة من الشباب فهدأ وقال له هادئًا:

- ينفع اللي انت عملته معايا امبارح ده؟ وربنا لولا إني في الجيش كنت
جبت كرشك نصين.

ضحك عارف ملأ فيه وقال:

- عايز تشج كرشي يا برنس؟ أنا موافج إن كان ديتي يريحك، لكن الأدمل
دلوك تخليني أحب على راسك وتأخذ الدوفايه الحمضاته ديتي تاكلها.

هدأ شادي وتخدر من طعم كلام عارف العفوي وقال:

- مسامحك يا فجري، بس بلاش الجوافة دي عشان قرفت وهجيب اللي في
بطني.

عارف في مودة:

- تعرف لما أخلص الديش هتلاجيني فاطط عنديك في بورسعيد اشتغل وياك في التدارة، انت تبيع سداير وانا أبيع معسل.

زمر شادي من جديد وقال منفعلًا:

- وبعدين بقي هاتقسم عليًا تاني؟ ما تلم نفسك يا صعيدي يا قحف.

يرد عارف بهدوء مبتسمًا:

- مجبولة منيك يا برنس، يا واد بهزر امعاك... خليك فجري زيي تعيش مرتاح من غير زرزرة وتمرض وتموت وانت حزان.

- والله عندك حق يا فجري أمي برضه بتقولني كدهون.

ضحكا معًا، وصفت القلوب التي لا بديل لها إلا الصفاء، فالهدف واحد والأمل قائم حتى يحققون لبلدهم ما يتمنون أن تكون عليها.

النفوس الملوثة تدفعها سلوكيات ملوثة ولا تتركها إلا وقد أبليت بوعكات وأمراض نفسية لا يشفيها أكثر الأدوية فاعلية.

سالم غرق بهدوء في بحر الهوى الذي لا منجى منه إلا صلاح القلب... والقلب فيه مات وتحلل، قام من نومه والشمس في منتصف السماء تلغنه وشاكلته، بحث عن الغم والأبل لم يجدهما، عرج على غرفة ابنته "عبله" وصغيره "سليم" لم يجدهما أيضًا، بحث داخل المزرعة وحولها، وجد آثار الماشية متجه إلى حيث مكان المرعى فاستراح وفهم أن الطفلة المصرية ابنة الراحلة غدرًا شيماء، قامت بدور أمها في المنزل

وأخيها بالمرعي، وهي ذات الثمانية أعوام، لكن لديها روح وإرادة تفوق سيدة تخطت الثلاثين دون انتظار توجيه لكن دافعها قلب بريء تعلم من قلب أكبر مات بريئاً.

دخل غرفته ولازال يراوده هواه في صورة "سهيلة" سيدة بشكل النيروز ووجه بلمعة الفيروز، تواصل مع أبو الوليد طالباً منه رقم هاتف سهيلة للتواصل معها والاتفاق على إجراءات الزواج إذا الأصل تطابق مع الصورة، لا اهتمام من طرف المتصل إليه عن عمد، الاتصال مرات حتى رد عليه كأنه نسي الأمر.

- خير يا سالم قلقتني ايش بيك؟ افقل هالحين وانا اتصل عليك، سلام.
لعات سالم وقذارة اللسان فيه لا تحتاج إلا ماء النار حتى تنجلي أدرانه، قام باحثاً عن فطور وجد أن ابنته أعدته له قبل خروجها للرعي جوار سريرها، مغطى بفوطة نظيفة مزركشة كما كانت أمها تفعل معه قبل رحيلها إلى ربها، تعجب وابتسم وما طأوع خياله استعادة ذكريات الأمس وأخذ يأكل بنهم البهائم بعد الجوع والحرمان الشديد.

أتاه ما أسعده بعد انتظار ومثل، رسالة بها رقم هاتف العروس المزعومة وكتب تحت الرقم... كن سخيّاً ولين الجانب.
تناول الهاتف بلهفة المشتاق واتصل عليه ليسمع بركة:

- الوو مين معي؟

- أنا سالم.

- مين سالم ما اعرف حدا باسم سالم، بطل معاكسة الله يهديك ياخوي، دي

- بيوت ناس محترمة، افقل بليز.
- لا لا استني سهيلة، بدّي احدثك، هذا الرقم خدته من أبو الوليد وقال أتواصل معكى، وانتى عندك المعلومة.
- كمان تعرف اسمي؟ تقصد ممتاز أبو مروان؟
- اللي أعرفه إنه أبو الوليد.
- كله يصير خير انشالله شو بدك... ما عندي وقت للحديث... أماي تعبانة وانا براعيها ووقتي كله ليها.
- سالم يصطنع الحزن وقال:
- الله يعافيه، شو فيها، وانا اقدر أساعدها في العلاج اهنه في مصر وتروح أحسن مستشفى، الطب اهنه زين كتير وأمك هي أماي.
- تسلم يا سالم... سيد الرجال... زي ما قالى أبو الوليد هيى هيى.
- هو اسمه أبو الوليد والّا أبو مروان؟
- كُله ماشى على رأي الأغنية بتاعت شو اسمه... محرم إيش... محرم فؤاد ها ها ها.
- أنا عيوني إلك يا سهيلة.
- تسلملي عيونك الحلوين.
- هابعت لك صورتى... تصويرة من شهر عدّى.
- رسمت صورتك في خيالي ماتقلقش... بس شيع صورتك يا قلبى.
- شعر سالم بالزهو وأنه لازال فتى يانع المشاعر لديه مهارة التعامل مع الجميلات، أرسل صورته.

- لا لا مش ممكن أبداً الحلاوة ديتي كلاتها، راح فين عمرو دياب وتامر حسني، كلهم يختفوا من الخجل لما يشوفوا ملاحه وجهك.
- كتير هدا والله الحديث اللي طالع سكر من خاشمك السكر.
- لا يا سلومتي بطل شقاوة يا راجل لاروح منيك وما أعرف اعاود... سالم سالم أماي بتنادي علي... سلام دنوك حبيب قلبي... بعدين نتحدثوا.

رحمة الله بعباده أن ينزل بهم المصيبة ويتزامن معها نزول الصبر والتخفيف، ما خفف عن رجال قوة المعسكر أن زميلهم عادل جاويش احتسبوه عند الله شهيداً هو في عليين، تلك مكاة أعلى من مكانهم في الدنيا وما هي إلا لعب ولهو وما هي إلا متاع الغرور.

موعد تناول طعام الغذاء بالمطعم الواقع بالدور الأرضي من مبنى المعسكر، الجميع يلتف حول مائدة الطعام عدا من هم مكلفون بأعمال، يرسل لهم وجباتهم أو يأتي أحد نيابة عنهم ليأخذ لهم الطعام فيتناولونه في موقع العمل، الوجوه بدت بها بعض الانشراح، وكالعادة الجندي "الفجري" عارف يدغدغ مشاعر البهجة مع الجميع، قال لهم:

- انتو عارفين يا ردالة إن معانا زميلنا من بورسعيد أهه اسمه شادي البرنس صوته دميل ددا تجولش وردة الدزائرية، يلا نشدعه ويغني أغنية موعود معايا بالعذاب يا جلبي.

الجميع يبتسم وينظر إلى شادي كيف سيتصرف.

قال شادي وهو ينظر لعارف:

- يا جماعة ده مهياص لا بعني ولا دياولو، بطل بقى يا أبو الصعدان
مقالبك دي لاحسن أبطحك.

الجالسون ينظرون، ومحاولة تفكيك وفهم بعض، كلمات شادي مستمرة
وكالعادة ينهي عارف تلك الإشكاليات وقال:

- يا ولدي ابجى هات كتالود وزعه علينا جبل ما تتكلم، زي أول ماديت
اهنه كنت أجول الدملة واجهز اشرح فيها أسبوع، لحادد ما البهايم فهمت،
هاو هاو هاووو (يبلغ ما في فمه من طعام) حتي أوزوريس صعيدي زي
وكان يفتح خاشمه لما اتكلم ويجفله بعد كام شهر.

أوزوريس معترضاً وشبه منفعل:

- يااخي كلامك كله طلاسـم... يبقى الكلام ماشي طوالي تاخده وتدعكه في
بوقك وتطلع غيره عايز ترجمه ها ها ها.

السائق عادل في شماته قال:

- هوووبا الصعايدة وقعوا في بعض، يارب تولع.

عارف بثبات:

- لع لع عمري ما اتخاف ولا ازعل من أوزوريس... دا حتى ندرا عليا لما
تدور وأديب بنت دميـلة زي الجمر هاسميها أوزوريس.

صرخة استهجان من أوزوريس قائلاً:

- يااخي انت ولد بارد، عيب عليك يا فجري بقى اسمي اسم بناويت؟

رد عارف في استفزاز:

- أيوه يا أوزور يا ولدي أقصد يا بتي، اسم مجلع وماصخ لا داي بت ولا داي ولد دكر بشنبات، روح السدل المدني وريح نفسك وغيره في أول أدازه.

أوزوريس مازال غاضباً بعفوية قال:

- أخليه إيه يا فالح قلولي؟

- خليه زوريسو هاو هاو هاو.

ضحك الجميع على ضحكته فتشجع واراد مصالحة أوزوريس وقال:

- أنا متجندل على عيني وماعرفش غير اللي أساميههم متشجبة، لما تكون مرت ابوي اسمها فرخدة بعدها بيدي اسم أوزوريس مليح وعليه سكر دلاب اللي بيسموه جنوط صعيدي لامؤاخذه هاو هاو هاااااوو.

الكل وقع من الضحك عدا شادي البورسعيدي كاد أن يتقيأ وقال:

- ارحمنا من قرفك يا فجري، دا احنا بناكل مش قاعدين في مخانة، حد يجيبلي صحن الرز اللي قدامه عشان والنعمة على عينيا جعان من امبييرح وماحطتش حاجة في بطني اللي بتصوصوزي الكتكوت الشرکسي.

المأجورون والمرتزة دوماً يجيدون أدوارهم ويقومون بواجبهم خير قيام حتى يرضى عنهم من استأجرهم ويجزل لهم من عطاياه، هم يهتمون تماماً بسمعتهم ساعين إلى تكوين سمعة طيبة في المجال الذي تم اختيارهم له، يتقنون أدوارهم بل يبدعون حتى وإن كان المجال ترهيب وقتل أو نوع الدعارة المختلفة.

سهيلة امرأة تربية الشرق وما فيه من موبقات، برغم السواد الأعظم من القاطنين هناك أظهار سيطر عليهم شرذمة من البشر قلوبهم غلف، يسوقونهم إلى عناوين برّاقة منها الجهاد والتحرير والنضال، كلها كلمات فضفاضة تصل لحد استخدام العقيدة المتمسك بتلابيبها هؤلاء الطيبون أن جهادهم هذا في سبيل الله ربهم الذي يعرفونه حق المعرفة، كل العار عندما يلبس الظلم رداء التقوى تولد أكبر فجيحة.

تتنظر سهيلة اتصال سالم بينما مراقبة هاتفها بالطبع قائمة ممن كلفوها بالمهمة منذ المكالمة الأولى مع سالم الذي وقع في شباكها حتى ذقنه، مرات يتصل ولم ترد حسب التعليمات والأعذار جاهزة لها أملاها عليها قادتها الأشاوس في مختلف الشرور، أخيراً ردت:

- هلا حبيبي كيفك؟

سالم في سعادة بالغة:

- من أولها يا سهيلة تقلقيني عليكي وتجوعي قلبي اللي ماصدّق لقاكي،

كتير والله حتي خوفي على أمك ما توقف، كيفك وشو فيه؟

- أنا منيحة يا حبيب قلبي اللي عم يفرفر من وقت سمع صوتك، دير بالك

قلبي مايتحملش هادا الحكي... لسه كتير يا حبيبي لما نتلاقوا قول ما بدك.

سالم مندفعًا:

- ليش كتير... البيت جاهز... وتيجي من النفق من عندك نكتب العقد وتبقي

ملكة البيت وملكة قلبي.

- على مهلك يا روعي... لسه وقت ياما قدامنا نتعرف فيه ونأخذ على بعض... وأنا اعرف أهلي وعيلتي واشوف شروطهم للجواز... ديتي شرع ربنا يا روعي.

في تودد وإصرار:

- ممكن كل شي يتم في التلفون واتفق معاهم وتبقي مرتي... وقتها هقول أنا عايز مرتي هالحين، بس قولني موافقه وكل شي أدبره وياهم. ضحكة طويلة كلها رقة ونعومة نتيجة الاحتراف:

- يا حبيب قلبي كل هادا إن كان عنديك ساهل إكده... مش لازم العروسة تأخذ وقتها تجهز نفسها فيه للجواز، دير بالك انت أول راجل اتكلم معاه بعد المرحوم من خمس اسنين.

سالم دومًا لديه الحلول قال بثقة:

- يا حبيبتي هدا يكون لما تيجي ننزل مصر أو حتى اسماعيلية... تجيبي ما بدك إياه.

- تعرف الكلام هدا بيظمني قوي على عيشتي وياك.

سالم يصيح صيحة سعادة وقال:

- يعني موافقة!! يا بختك يا سالم.

- سالم ... سالم، صوت أُمَي بتنادي علي... جايه يا أمي حالاً... سامحني يا حبيبي... سلام.

كاد الليل أن ينتصف على هذه البقعة المباركة من أرض الله، الظلام يلف معظم أرجاء معسكر الرجال عدا ضوء بعض المصابيح في مواقع متفرقة منها غرفة القائد مقدم محمد عبد الرزاق الذي يقوم بمراجعة بعض المهام المكلف بها قوة المعسكر من قبل القيادة المختصة.

صيحة تصل إلى حد الصراخ من العريف متطوع نصر فرغلي قال بصوته الرفيع:

- الصول رمضان قرصه تعبان وبيتوجع.

كل من سمع طار حيث يرقد الصول رمضان عدا المكلفين بالحراسة الليلية في هذا التوقيت، تقدم وحيد عبد العاطي حيث أشار له والكلام فيه فزع:

- أيوه القرصة هنا في رجلي.

قام وحيد بخلع شراب الصول رمضان، وفتح فمه مكان العضة يسحب الدم منها ويبصقه مرات، ثم أخذ يضغط بأصابعه حول العضة حتى وجد لون الدم اختلف وصار طبيعياً، في هذه الأثناء انتشر بعض الجنود باحثين عن الثعبان حتى فعصه عارف بالبيادة ثم أمسكه بيده عالياً وقال:

- جتلتة ولد المركوب أها.

أخذ عارف ينظر إلى الثعبان ويحدثه قائلاً:

- يعني يا ولد الدزمة الجديمة سايب الصحرا دي كلاتها وداي اهنيتي؟، هو يعني والدك ما جالوش ليك إن ده معسكر رداله يا ممصخ.

الجميع يضحك ضحكات تتفاوت في حدتها بينما عارف مستمراً:

- أديك بجيت فردة رباط بيادة في يدي، ماحدّش قالك إنك اهنيتي في مصر
يا ولد الفرطوس؟ وحياة راس اللي شيعك ما نخلي تعبان منيكم اهنه
ونردعكم دحورك يا إما كلاتكم تبقوا زي ما انت اكده... بجى كنت عايز
تجتل الصول رمضان حبيبنا!... هو صحيح حاططني في ضماغه بس انا
متوكد إنه بيحب الفجري.

ضحك الصول رمضان عاليًا مما شجع الجميع على الضحك دون تحفظ.
أقبل وحيد يتفحص الثعبان في يد عارف وقال:

- الحمد لله ده تعبان مش سام، حمدا لله على سلامتكَ يا حصول وانصرف.
دخل سيادة المقدم حيث يجلس الصول رمضان ومن حوله معظم أفراد
قوة المعسكر، ألقى السلام على الجميع فتكهرب الجو منذ دخوله فقال لهم:
- خليكم براحتكم يا رجالة، سلامتكَ يا رمضان خير إيه اللي حصل؟
- سيادتكَ وانا نايم حسيت بحركة فوق الشراب لامواخذة، قمت ابص لقيت
تعبان بيجري قدام عيني وحسيت بلسعته، ناديت على نصر وجاب الرجالة
وقاموا بالواجب الحمد لله.

- قوم طيب معايا أوديك المستشفى ليكون سام يسمم جسمك.
- شكرًا سيادتكَ... العسكري وحيد لما شافه قال إنه مش سام، قدر ولطف..
الحمد لله سعادتك.

- طيب يا رمضان إن احتجت تروح المستشفى أنا موجود ابعت لي أي حد
من الرجالة... سلامو عليكم.

- عليكم السلام ربنا ما يحرمنا من سعادتك ... يلا يا رجالة كل واحد على مكانه متشكرين لتعبكم.

انصرف الجميع متمنياً السلامة للصول رمضان بينما تأخر عارف وقال:
- تسمح لي حضرة الصول احتفظ بالتعبان ولد الدزمة ديتي معاي لغاية ما
اخّص الديش بتاعي؟

سأله رمضان بعفوية :
- ليه يا فقري؟

الإجابة لدى عارف جاهزة:

- عشان أول ما تيدي تعملي أورنيك ذنب اطلعه من ديب البدلة وافكرك،
طوالي تجول كما كنت.

ضحك رمضان وقال:

- انت مافيش أطيب من قلبك يا عارف بس لو تبقى منضبط عن كده تبقى
وحش وتترقى عريف.

عارف مندفعاً:

- أو مال انا إيه دلوك!! وحشة؟ الديش كله وحوش يا حصول... هبعت لك
تعبان تاني بس يكون فجري هاو هاو هاو.

صاح الصول رمضان مجرباً صوته بعد لدغة الثعبان:

- انصراف يا عسكري على خدمتك، يلا يا عسكري سريعاً مارش.

نظر إليه عارف نظرة طويلة ثم أخرج الثعبان من جيبه ليراه رمضان ثم
انصرف سريعاً يقهقه ويقول في نفسه :

- تمام یا صول یا دااامد.

الفصل التاسع



سالم اتبع هواه وكان أمره فرطاً، لديه الأمل أن سهيلة المرأة القادمة من الشرق، هي طوق نجاة في بحر الهموم التي تكدست فوق رأسه بما فعلت يداه، خيل لعقله الضال والمضلل أنها سوف تقدم له عواطف سخية كما تبين له من نعمة القول لديها وحلاوة الحديث ما ينتشله من أفكار يتهرب منها عندما تغزو رأسه لتتكبره بموت ابنه الأكبر حميد وقتل زوجته المصرية شيماء.

ما توقف اتصال بهاتف سهيلة، وكالمخطط لا رد منها إلا حين يأسه وحتى لا يقتل من لهفته أو تضعف رغبته فيها وهو بالفعل سريع المثل جاحد الطباع كما قيل لها، فهم من قاموا بتربيته وحفظوا له طباعه، وحتى يكتب لسهيلة النجاح في مهمتها قاموا بتلقينها كل جوانبه النفسية وسلوكياته حتى الشذ منها، بعد طول انتظار وكاد نور الصباح أن يبرز ردت علي مكالمته بعد اقتراب يأسه وقالت:

- هاي سلوم روح قلبي ونور عيني... حق الله يا حبيبي ما وقتت تفكير فيك... أخدم أُمّاي وأفكر فيك... أطهي الوكل افكر فيك... أأخذ شاور وأفكر فيك... هبلتني يا مهبل هااااا هااااا بحبك.

تاه سالم وخرس اللسان وهو الفصيح وقال:

- كمان أني يا قلب سالم ماعرفش راسي من رجلي... يلا بقى يا روجي نتجمع في بيت واحد وغرفة واحدة و سرير واحد... اووووه يا سهيلة مشتاق كثير... إلا قوليلي عملتي ايش مع أهلك?... عشمي في ربنا كبير يكونوا وافقوا.

- كلمتهم كلاتهم يا روجي وفهموا إني متعلقة بيك وبدّي أعيش ويأك، معظمهم وافق لكن الباقي ليه شروط.

اندفع سالم وقال:

- شروطهم مجابة بلغيهم وأنا سداد.

- بيقولوا بس يا روجي إني هاتغرّب عنيهم و بدهم يضمنوا حالي، لا سمح الله إن حُصل شي وترميني في بلاد ما اعرف فيها حدا.

- يعني ايش يرضيهم يا سهيلة؟

سهيلة بنعومة و دلال ولعابها يسيل على نصف المبلغ الذي تستطيع اقتاعه به يكون مناصفة بينها وبين من أرسلوها:

يعني لو قلت لك هتوافق يا روح قلبي.

- سمعيني يا سهيلة يا قلب سالم.

صوت منخفض وقالت:

- قالوا خمسين ألف مهر.

- موافق.

فطننت أنه فهم بالجنيه فعادت تكرر:

- يعني يا روجي أقولهم إنك موافق ع المهر خمسين ألف دولار؟

- ايش ايش؟ ليش اكده؟ كيف يعني خمسين ألف دولار؟ ديتي مش عدل بالمرّة.

اصطنعت سهيلة الحزن وقالت بصوت فيه غضب مكتوم :

- إكده يا سالم... ماشي يا ولد الناس... منيح إن أعرفك قبل ما نتجوز..
بدك شي مني هالحين؟

- ليش بس تزعلي.

- لا شي يزعلي... عندك حق المصاري بقت أغلى من المشاعربكتير
مافيش نصيب يا ولد الناس... سلام خيي سالم... ممنونه اني عرفتك..
سلام.

سالم منزعجاً:

- ليش هتقفلي الكلام بناتنا؟ كل شي يصير باتفاق وتفاهم، أنا ممكن ادفع
٣٠ ألف هالحين والـ ٢٠ مؤخر هما دول اللي معاي.

سهيلة فرحة بالعرض غير المتوقع إلا أنها قالت:

- عشان عيونك وريداك أحاول معاهم وأقولهم بعدين لما يبقي معاك
مصاري مش هتبخل على حبيبتك.

- طبعا يا حبيبتي سوسو.

- الله الله اسم منيح سوسو ومن خاشمك يجنن حبيبي سلوم.
- طب ميتة تيجي حداي اهنة؟
- اديني كام شهر (فتحت فيديو الهاتف ليراها في كامل حُسنها).
- يقفز سالم فرحاً وقال:
- يا ربي ما هادا الجمال، ماقدرش أبص عليكي من نور جمال وجهك.
- سهيلة بدلال مبالغ فيه:
- وجهي بس؟ ها ها هاهااااه.
- عنديكي الحق... كلك جمال وحاجات حلوه كتير... ايش رايك حبيبتي
- الزفاف يبقي الغد؟
- عيونك بتقول مستعجل واتي مش هاحرمك مني حبيبي، انتظر ارن عليك
- في النهار ونتكلم ونحدد كل حاجة يا روح قلب سوسو ها ها هاهاااه، باي
- دلوك يا حبيبي (أغلقت الفيديو و الخط ثم الهاتف كلية).
- أدي صلاة الفجر بعض أفراد قوة معسكر الأبطال في جماعة حضور
- عدا من هم مكلفون بالخدمة والحراسة التي تنتهي مع شروق شمس الله
- التي تلامس بنورها نور قلوب الخاشعين لأوامره، والساعين نحو طاعته،
- آملين منه سبحانه المغفرة والعفو في الدنيا والآخرة.
- الروح فيهم توحّدت واستوت على سوقها، النضج فيها المودة التي
- نبئت وأثمرت وظلت ترتوي من شربة ماء بئر وكسرة خبز وكلمة طيبة من
- القلب صادقة حين الفرح وحين الطرح.

يبقى نداء الروح معلقاً وهو يرنو إلى أصل ثوابت ما حواه الكون،
يظن الغبار واهماً أنه الراقد في عليين إلى أن تذوب الأشياء، بينما نور
الأرواح ترنو بلهفة من قبضات الإرادة والفولاذ المصقول فيها، لتنتقل
بعدها سهام الأمل لتصيب الغبار النواهم ويبقى بريق أصول الثوابت متسيّداً
لمحتوى الروح مع رضاء النفوس، هنا يعم صمت الحنين وبلا عناد يعلو
ورقات الياسمين السابحة في القلوب المتعطشة لنداء الروح قبيل الغروب.
لا بد من السبل المختلفة لقضاء الليل وما قد يخفيه اثناء فريضة خدمة
الحراسة الليلية يومياً، لقهر النعاس والموازرة حين الغدر المتوقع كل ثانية
أن تكون الكلمة والحوار بين أشقاء المهمة الواحدة، اختلاف اللهجات
والثقافات وعادات جذورهم المختلفة صنعت نسيجاً متجانس الخامة
والألوان المتباينة في جمال طبيعي عفوي.

اجتماع وحدة خدمة البوابة المصغر ضم من الجنود "عارف الفجري"،
"مجدي الاسكندراني"، وزميلهم الهادئ "وحيد عبد العاطي" الذي بدا
عليه هموم الدنيا جراء إصابة ست الحبايب بالمرض اللعين الذي لا يرحم
طفلاً ولا شيخاً إلا واخترق خلاياه وانتشر كما النار في الهشيم، عارف
كعادته يسري عن المهمومين وقال له:

- شایل طادن سټک لیه یا دفعة؟ یکونش الدم الی مصیته من الصول
رمضان أټفاعل مع ضماغک ولخبطها؟ لیک علاد عندي یریحک ددا ومفعوله
سریع... تديب فار یتیم تحمصه في القرن سبعین ثلاثة وتطحنه مع عضم
رکب نملة صابح وتعمله سفوف... تسف منیه کد رطل ع الریج کد أربع

اسنين... تلاجي نفسك جلعت خلجاتك وطررت في الشوارع تجول رمضان
داي وحوي يا وحوي.

ضحك مجدي الاسكندراني بشدة وأخذ يسعل بعنف أيضاً بينما وحيد
مازال تائهاً في حاله، هذا استفز عارف لأنه يعني أنه فشل في إخراجه مما
هو فيه وقال:

- يا ولدي محسني إني ماصخ و دمي بارد وبجيت زي فرخندة مرت
ابوي بتقل دمها، أجولك واسمع ديتي، في مرة كانت صافية مع ابوي
وجالت له تعالى يا موسى نتسابع في الغيط لغاية السدرة اللي هناك ديتي،
أبوي من جلة عجله جعد يرمح لحادد ما وجع في المصرف الجبلي، هو
ينتفخ المي من خاشمه وهي تضحك عليه وتزيح زي العرسة الكبيرة
مرت الفار، ردايه التنين اتكسروا ودبسهم وجعد في البيت مفشخ زي المرة
الحامل اللي منتظرة تولد مولود دديد.

ابتسم وحيد ابتسامة خفيفة وقال:

- انت جميل وقلبك أجمل يا عارف.

عارف يرد بغفوية:

- ما عنديش مانع إنك تتدورني مادامك شايفني دميل، اما ع الأجل ترحمني
من عذاب فرخندة مرت ابوي هاو هاو هاووو، روج يا وحيد ولا أجولك
غني يا وحيد.

احتضنه وحيد واخذ يضحك من قلبه وقد خففت آلامه ولو مؤقتًا، بينما مجدى الاسكندراني أغلق فمه بيده خوفًا من صرخات ضحكاته والدموع تسيل من عينيه.

عندما يكتشف الصياد أن الضحية طاب لها الطعم فلما لا تتعجل في اقتناصها رب تفكير الضحية يستيقظ بعد غفوة وثبات، ويضع حينها الصيد الثمين ويندم الصياد على ضياع الوقت والنتيجة لا شيء، الصياد اعتاد على اقتناص الفرص واستغلال أي حدث خاصة الإنساني ليتباكي ويصرخ، ثم يناشد الإنسانية جمعاء أن يساعده على تخطي أزماته وكوارثه منها المصنوع بيديه تخطيطًا وتدبيرًا وتنفيذًا، ليبقى ضحية أمام ضعاف القلوب الذين يسارعون لنجدته بالمال والغذاء لتخفيف آثار صنعه البغيض.

استعدت عقول الشرق المؤجر والمستأجر باجتماع على مستوى عالي لوضع خطة نهائية للتخلص من سالم والطعم السيدة حلوة الملامح والأنوثة "سهيلة" مع تأمين سلامتها، فالجماعة يحتاجون خدماتها لاسيما أن الضحية تتمتع بوافر من اللوم والحيطة عند التعامل مع الآخرين، سرعة في الأداء المتقن والمقنع حتى لا يثير ريبة سالم، أدت إلى تحرك سيارة تويوتا دفع رباعي موديل العام تتحرك بالعروس "سهيلة" برفقتها اثنان من الرجال شاهدي عقد الزواج من خلال النفق الذى نهايته مزرعة سالم، المتابع فور تحرك موكب العروس من الشرق ويستقبلهم مرتديًا جلبابًا

أبيضًا فاخرًا راقيًا، ومرتزيًا من شعره حتى قدميه، والعطور الباريسية تنثر عبيرها أينما حل.

العريس سالم منشرح الوجه يرمق العروس سهيئة الممتزينة مرحبًا بها ومرافقيها:

- يا مرحب يا مرحب، نورتونا وشرفتونا، والله لولا الظروف كنت دبحت عشر جمال تحت رجلين العروسة لكن متعوضة الأيام الجاية.
تنظر إليه سهيئة مصطنعة الحياء وقالت:

- تسلم يا سالم، ربي يبارك فيك، خلدنا نوقع العقد اللي مكتوب ديتي ويتوقع من الأخوة اللي معاي شهود أمام ربنا إني زوجتك وتديهم المهر يوصلوه لأهلي هيا.

بالفعل تم توقيع عقد زواج "عرفي شرعي" من العروسين وشهود العقد المرافقين القادمين معها من الشرق، وأعطى سالم أكبرهما عمرًا مبلغ ٣٠ ألف دولار ثم عادت السيارة من حيث أتت مع الدعوات من المغادرين بالسعادة للزوجين، اختلى سالم بزوجته كما قيل في العقد ولم يستطع الانتظار صبرًا، فقد أتاها من حيث أمر الله ومن حيث ما نهى الله عنه، استطاعت بخبرتها إهدائه شعور الزهو بفحولته مما أدخل السرور على هوى النفس وما حوت.

بعد العصر تعود "عبلة" ابنة سالم صغيرة العمر، شبيخة الهم والقهر بصحبة البراءة شقيقها الأصغر سليم، تسوق الغنم والإبل عائدة بهم إلى المزرعة، سليم يلهو ويمرح جوارها يتدلل وهي تشجعه على المزيد من

اللهو والمرح، تضحك لأفعاله حين يقفز فوق أحد الخراف، يركبه فيتمرد الخروف ويوقعه أرضاً فيبكي، تطير إليه نبع حنانه الوحيد أخته عبلة وترفعه من فوق الأرض ضاحكة وتنظر إليه وتغمره بقبلاتها من شفاة جفت مبكراً، لكنها تصب له منها كل عطف وحنان الكون والبراءة كنز لا يفنى، يضحك حينها سليم وتضحك عبلة حتى وصلا إلى منزلهما مجبرين على العيش فيه، فالفكر فيهما لم ينضج بعد ليعلما الكثير مما يجعله عمرهما.

سهيلة العروس وسالم العريس يقبلان ببشاشة وجهيهما على عبلة وسليم، ونظرات من عبلة تتفحص سهيلة ولديها كثيراً من الأسئلة الحبيسة داخل قلب الفتاة، تسأل سهيلة عبلة بعد مسح رأسها :

- شو اسمك يا قمر؟

عبلة بعيون زائغة والاضطراب يدور في رأسها وتسال:

- اسمي عبلة، مين هادي يا ابوي؟

سالم يتلثم:

- هادي أمك سهيلة يا عبلة.

عبلة جحظت عيناها وقالت:

- وين أمي يا ابوي اشتقتلها كتير.

لم يتوقع سالم رد فعل عبلة، نظرته لها أنها ليس لديها فطنة ولا حتى مشاعر فقال:

- أمك مريضة عند أهلها في الشرقية، كلها أيام وتعود.

فحصته عبلة بعينيهما الصغيرتين وقالت ببراءتها:

- كيف تعود وهي ماتت عند ربنا فوق كيف ما قالوا لي النسوان في الليل!!
انصرفت باكية وفي يدها سليم يبكي أيضاً، فهو يعلم أنه لا تبكي عبلة إلا
في الأمور الصعبة هكذا حدثته روحة والطهر فيها.

استأذن سالم سهيلة في التحرك بسيارته نحو العوائل المحيطة به في
المنطقة يبلغهم خبر زواجه رغماً عنه، حتي يجي من يرعى ابنته وابنه،
فهما مازالا طفلين، وأنه اضطر أن يعوضهما ما فقدها بعد هروب أمهما
سامحها الله بفعلتها، وأراد أيضاً شراء بعض الأغراض للمنزل وعروسه
سهيله ترحيباً بقدموها السعيد، وحتى يقضي معها ليلة العمر يستكمل معها
ما بدأه من روايات المتعة بألوانها، سألها بحنان ومشاعر الكريم:

- ايش تبغي يا سوسو؟ قلني ما بدك.

ردت عليه بدلع الهوانم :

- بدّي شي واحد، تعود بالسلامة يا سلومتي، ما تتأخر حتى لا أقلق حبيبي
ما تهملني بشوقي يقتلني... بدّي أكمل ما تريده.

(نظرة طويلة متبادلة لا يفهمها سواهما وانصرف تلفه سعادة لا حدود
لها).

دخلت سهيلة المنزل بعد متابعة سيارة سالم حتى اختفى أثرها، ما
تركت مكان بالمنزل إلا ونقبت فيه بدقة وإتقان حسب التعليمات التي
تلقتها، مع التركيز على ما خف وزنه وغلى ثمنه، نجاح التنقيب يعتمد على
خبرة وحرفية القائم به ألا يلتفت نظر صاحب الشأن أنه تم من الأساس،

فعلت مع انبهارها بما يملكه سالم من مال مختلف العملات وسبائك ذهب ومشغولات حتى ملكيته لبعض التماثيل التي بدت أنها أثرية، وفوق كل هذا المواد المخدرة بأنواعها كما ونوعاً، وارسلت تقرير تفصيلي دقيق بالطريقة التي تدربت عليها مرات ومسح أثر التقرير من هاتفها المحمول، بعد ذلك استعدت نفسياً وبدنياً لتلبية رغبات الزوج حسب العقد المبرم بينهما، رغبات متنوعة منها الإنساني والحيواني، الهادئ والعنيف، الطبيعي وغير الطبيعي.

بدأت نوبة الحراسة الأولى عندما حل المساء وأتى القمر الذي بزغ في السماء بدرًا، يخلو فيه السمر مع السمار والمهموم مع أوجاع الذات والعاشق مع لهيب عشقه والحارس مع أمانته التي في عنقه تبدو حمل خفيف وثقيل عندما تكون الأمانة وطن، الوطن ليس حبات رمل وماء بحر ونخلة حقل وسماء أرض، الوطن ليس حدود بل الوطن وجود وعشقنا وعشقنا له يسود حتى نفنى فيه جسد ويأكلنا الدود، أفلا يستحق التضحية وعنه نزود؟ تلك عقيدة كل من كلف بحراسة المعسكر بالداخل والخارج بل معسكرات الوطن بأكمله.

بدأ شادي فياض البورسعيدي يتأقلم مع الجنود بل جميع أفراد القوة، الألفة والمودة تسيدت بينه وبينهم في التعامل على كافة الرتب، وأمن الجميع عند التعامل معه إحكام العقل فيما يقوله وتصفية أقواله إلى الربع وإلقاء باقي أقواله بعيداً حتى تستمر العلاقة معه، ما نسي ثأر له مع زميله

عارف الذي كان استقباله له علامة سوداء لن يمحي أثرها إلا مقلب يفعله مع عارف حتى تهدأ نفسه من لومها الدائم له، فكيف وهو البرنس ذائع الصيت في حي الزهور ومساكن التعاونيات أن يأتي عسكري صعيدي يجعله زاحقاً على بطنه ويداه فوق رأسه!!

انتهاز شادي فرصة وجود عارف داخل الحمام للاستحمام وقد علق ملابسه كافة فوق ضلطة الباب، فأخذها بهدوء متسللاً نحو المبيت ثم دسها أسفل مرتبة سرير عارف وابتعد قليلاً مع مراقبة ما سوف يحدث، بينما عارف أغرق نفسه في الصابون الميري، والماء قليل واستخدامه بحكمة واجب حسب التعليمات لندرته في هذه الصحراء القاحلة، عارف انسجم مع انتعاشة الاستحمام وأخذ يغني وإن كان صوته لا يسر أحداً حتى هو، ومع ذلك اختار موال "شفيفة ومتولي" متميلاً مع صوته المنفر:

- يا متولي يا جرجاوي يا متولي... متولي يقول ما بيديش... جه الطلب وخدوه الديش يا متولي... يا جرجاوي يا متولي يا جرجاوي... متولي عجب عسكري وآخر النهار خده ع البلوك... ياما قبله أتوا عالم... شوف الفرد لما يتعلم... وخذ ست اشهر يتعلم يا متولي... يا جرجاوي يا.....

صوت عارف استفز شادي أكثر فقام بغلق محبس المياه حتى يرتاح وجميع من يسمع صوته، توقف عارف عن الغناء وأخذ ينادي:

- يا ولد يا اللي بره حد يديبلي سطل فيه اغسل وشي من الصابون اللي مولع عيني... تجولش مية نار؟

يتصادف وجود جندي بالحمام حديث العهد بالمعسكر وفعل له المطلوب.

غسل عارف وجهه من الصابون ثم راح يتناول ملابسه، لم يجدها
فنأدى ثانية :

- حد يدبلي خلجاتي من دوه العنبر.

دخل مجدي الاسكندراني الحمام وسمع نداء عارف فسأله:

- هو انت جاي تستحمي وانت عريان؟ هدموم إيه اللي حد يجيبها لك من
العنبر؟

- أه صحيح أكونش اطسيت في عجلي؟! الخلجات جلعتها اهنة، يبجي حد
طمع فيها وخدها.

مجدي يضحك وقال:

- يا فقري مين عبيط يطمع في هدمومك؟! دور عليها جوه و يللا اطلع بقى
عايز اخش استحمي.

عارف منفعلًا :

- يا متدي يا ولدي سدقتي ما في حادة، كل المكان متر في نص ما تدننيش
معاك.

- طب العمل إيه دلوقتي.

عارف متوسلاً وبصوت مخنوق:

- روح هات لي أي حادة يا متدي استر بيها حالي دلوك لإن الخلجات اللي
غارت فيها مفتاح الدولار.

- ماشي يا أبو الفقر.

أحضر مجدي بطانية من فوق سرير عارف أتاها بها وقال:

- بطانيتك هي اللي لقيتها لف نفسك بيها واطلع عشان عايز استحمى وارحمى.

عارف متأففاً:

- ضماحك الدزمة دلتك على بطانية؟! يلا كله ماشي بس لما اطلع واعرف مين الدزمة اللي خد خلجاتي عشان اجتله.

خرج ملفوقاً بالبطانية من رأسه حتى أسفل ركبتيه ممسكاً بطرفيها، وكل من يراه يضحك بشدة وعارف يقول لكل من يقابله:

- يبجى أنت اللي سرجت خلجاتي.

يتقدم شادي الفاعل مرتدياً وجه البراءة وقال لعارف:

- خير يا فقري هوانت ممسوك آداب؟ ما تقلقش أنا أعرف محامي قرد ساكن جنبى في الزهور هيخليك تاخذ سنتين حبس بس مع الأشغال الشاقة المؤبدة كخخخخخ.

عارف في غيظ:

- اتلم يا تادر السداير المحروجة وغور بعيد عني، يبجى انت اللي سرجت خلجاتي.

شادي رسم الدهشة والاستغراب على وجهه وقال:

- أني؟ اخص عليك يا أبو الصعدان، والنعمة على عينيا ورحمة أمك الغالية في تربتها ما اتسجر حتى افكر فى كدهون دا انت اخويا وحبيبي إزاي ده يحصل يا جدعان، بس والمصحف شكلك آخر حلوة وانت بالبطانية وانت

شبه ستوته كخخخخخخ، يلا بقت عشان تطلع خدمة وانت كده، عمومًا
لما تجيلي بورسعيد هيقولوا لك البرنس دوت أبو الأمانة كلها وكدهون
وبتاع.

الفصل العاشر



عاد سلم محملاً بلهدايا والأغراض مهتماً وكن سخياً فيما تحتاجه سهيلة العروس من أدوات مكياج وملابس للنوم اختارها بعناية حسب مزاجه الخاص والتي تظهر أكثر مما تخفي، وما نسي بدلة لرقص لناعرية مع الطور لفاخرة، كن رضاها عنه هو الذي يشغل باله، دخل المنزل سعيداً برويتها واستعداده له لتكون لثيلة كما وعدت وتمنى، وكان له ما أراد حتى أشرق لصباح يملؤه الخجل من أفعال البشر.

كما اعتادت عبلة في الأيام الماضية، أخذت الماشية والأبل برفقة شقيق الروح سليم الذي يسعد رفقته والاطلاق معها أينما تكون وجهتها، فطنة عبلة بما رأت جعلتها لم تجهز لأبيها الفطور كما اعتادت بعد اختفاء أمها، فالآن له من يفعل ذلك ويزيد.

بحلن بالغ وقبلات دافئة مع بعض لدل قدمتها سهيلة لسالم قائلة له:
- يلا حبيبي قوم لأجل تجيب لي الطلبات ديتي اللي في لورقة للي أنا كتبتها وانت بره، الحقيقة استحييت منك أطلبها بالاتفون فكت يمكن تجيبها من حالك ولي أعرفه موجودة بس في القاهرة.

سالم بابتسامة عريضة وبعض القبلات السريعة ونظرة سريعة في المكتوب بالورقة وقال:

- إكده آخذ على خاطري منيكي يا سوسو، إن طلبتي عيوني أقدمها بدون حديت، هاقوم توه أفطر واتدلى القاهرة لاجل عيونك.

ارتاحت سهيلة نفسياً لما سمعت من استجابة منه للسفر بعيداً، حتي تتفرغ للخطوة الأخيرة المطلوبة منها وتتم مهمتها بنجاح، وتحصل على مال يعينها على مواصلة الحياة مع عائلتها المعسرة وسط الغلاء الفاحش الذي يلف منطقة شرق ما بعد الحدود، جهزت الفطور مع الشاي، ثم ودعت سالم بكلمات هزّت وجدانه لينطلق بسيارته نحو مدينة الألف منذنة.

تواصلت هاتفياً مع من دربها وخطط لها وعاونها على التنفيذ من خلال متابعة غاية الدقة والسرية حديثها كان:

- هلا عيوني، أقول أبو الوليد والأبو مروان ولا نخليها أبو الهول زي الجماعة إياهم؟ هيئ هيئ هئو.

- خبريني يا نفرتيتي ايش عندك... الناس هون متعجلين ع الفصل الأخير.

- كله تمام حضرتك، منتظرة أوامرهم.

- ركزي معاي، في الطريق بالنفق سيارتين، معاهم فيها رجالتنا عشان كل الأغراض اللي تجميعها ما تسببي شي، تسببي الحاجات الثقيلة اللي ما ليها تمن، تحافظي منيح قوي ع المصاري والذهب والتحف تحطيها في شنطة مفتاحها معاكي وحدك اللي اخديتها معاكي من هون، جهزي روحك واقعدي جنب فتحة النفق اللي في المزرعة بتاعت أخينا العريس ها ها ها، يلا

سلام هتلاقيني منتظرك قدام مدخل النفق اللي هون، يلا نكسب وقتنا ربنا معاكم.

أنت السيارتان، وقام الرجال المرافقون بتحميلهما حسب توجيه سهلة متقدة الذهن حتى لا تنسى شيئاً فتتعرض للمساءلة وربما الحبس بلا محاكمة ولا دفع، باعتبارها خائنة للقضية الأم التي تستخدم في كل المواقف والمحافل زوراً وبهتاناً.

انطلقت السيارتان خلال النفق السري الذي لم يكتشف، ويوجد الكثير مثله تم تدشينهم بتكلفة عالية ومهارة، فالعائد من كل نفق أموال خيالية تفوق التكلفة بمراحل ويتم استرداد التكلفة الباهظة في عمليات متنوعة خلال أيام، ذهبت سهلة من حيث أنت لتجد في استقبالها قادة المجموعة المنفعين بما تدره الأنفاق من أرباح، جعلت أرصدتهم في بنوك العالم الخارجي في حالة تخمة مستمرة.

ضمن التعليمات القدرة التي قام بها الرجلان المكلفان من رؤوس الشر الشرقي زرع ألغام بكثافة كانت معهم، ومن خلال خريطة تم توزيع الألغام في كل جوانب منزل ومزرعة سالم مع بعض قنابل منتشرة بعناية مضبوطة بتوقيات زمنية محددة، المتفجرات تكفي هدم حي بأكمله، بالفعل حدث ما تم تخطيطه بعناية ودقة شديدين، الهدف من هذا تركيز في نقطتين، أولهما حتى لا يكتشف سالم ما حدث من سهلة مع السرقات التي ما بقى بالمنزل شيء له قيمة حتى المخدرات ما تركوها، النقطة الثانية أن سالم ما عاد يصلح عميل يعتمد عليه مادامت شريعته الأموال، وهذه النوعية من

وجهة نظرهم لا أمان لها، ومن الممكن الاستعانة بأى شاب من القبائل البدوية فإذا شبع وأظهر طمعه يتم التخلص منه دون تردد.

عادت الطفلة عبلة مع صغيرها سليم مع رعيتهما، وقد رميا همومهما فوق الرمال، عصفتها الرياح الصيفية بعيداً عن براءة عقليهما، التي لم تتحمل أحمال تفوق محدودية العقل فيهما، لم تجد أحداً بالمنزل لكنها لمحت آثار سيارات كانت تقف أمام منزلهم، ذكاءها الفطري البدوي دلها على تتبع آثار الإطارات التي توقفت في نهاية المزرعة من ناحيتها القبليّة، عقلها لم يستوعب ما رأت، فأجلت انطباعها والتفسير إلى أن تلتقي وأبيها حين عودته مع المرأة التي كانت بالأمس بصحبته، والتي حاولت التودد إليها ولكن قلبها الصغير لم يشعر براحة منها.

كالمعتاد اليومي نوبات الحراسة في معسكر الرجال توزعت على مواقعها، هذه المرة موقع البوابة له ثلاثة أفراد بالتناوب منذ بداية الغروب وحتى طلوع النهار، كل رجل منهم له أربعة ساعات يتسلم منه زميلة أربعة ساعات أخرى حتى يأتي ثالثهم لتكتمل اثنتا عشرة ساعة حراسة ليلية، جاء ترتيب رجالها في الوردية الأولى مجند شادي البورسعيدى يليه مجند حسين الشاعر من الاسماعيلية، وبعدهما المجند وحيد هادئ الطباع الذي لازال مع همومه لأجل مرض أمه التي تسكن روحها فيه.

انتهت الوردية الأولى لشادي بسلام تلتها الثانية لحسين، وبدأت الثالثة لوحيد معها تبدأ سهرة السمر بين حسين الشاعر وشادي على

مقربة من وقوف وحيد بانضباط ويقظة، بدأ حوار حسين وشادي حول ما فعله شادي مع عارف أثناء استحمامه وسأله:

- قولي بصراحة من غير فشر ولا نتش إيه اللي عملته مع الفقري عارف؟
- وحياتك ولا حاجة، يا عم ده رمي بلا، بيتهمني إني سرقت هدومه، طب أسرقها ليه بذمتك انت؟! هو كان عمل معايا حاجة لا سمح الله؟! تلاقي حد صاحبه رخم حب يستغله ويعلم عليه وهو أهبل من غير ما يشغل دماغه الخاتكة قال إني اللي عملت كده، سيبك منه ده مناخوليا.

حسين أظهر صراحة أنه لم يقتنع بكلام شادي وقال له:

- بص ياابني أنا اسماعيلوي يعني بلدياتك قول الحقيقة وانا كأني ما سمعتش حاجة.

زاغ شادي من تكملة الحوار بعدما أقسم برحمة خاله إن عارف هجاص مع إن ليس له خال ولا حتى خالة.

ينادي عليهما وحيد عبد العاطي يناشدهما راحتهما بالنوم ولا يقلقا في نوبته، فهو المستيقظ وعلى حد قوله لن تمر ذبابة وهو قائم بالحراسة على بوابة المعسكر، والموقع مجهز بحفرة على جانب البوابة تعلو سطح الأرض ثم ترتفع، محاطة بشكاير الرمال تحمي من فيها من الشظايا المتطايرة وقت انفجار الغدر وتمتص ظلقات رصاص الجبناء.

قضى سالم سهرته مع أحد التجار المتعاملين معه في التجارة، وتعتمد التأخير ليتأكد من حب سهيلة له لشخصه كرجل ومدي اشتياقها له وقلقها عليه، خاصة أنه أغلق هاتفه عن عمد ولديه الحجب عند اللقاء بها.

بعدما انتصف الليل تحرك عائداً إلى منزله والحببية فيه، يزداد لهيب شوقه كلما اقترب من بلدته حتى أصبح منزله على بعد كيلومترات ليسمع صوت انفجار رهيب هز المنطقة بأسرها، وصل إلى رأسه الفاسدة كعادته أن الجيش المصري يفجر بعض المنازل بعد اخلاءها من ساكنيها بعد اكتشافهم أن أصحابها يستخدمون الأنفاق ليأتي منها المجاهدون حسب تسميتهم لأنفسهم ويقومون بعمليات انتحارية تسفر عن قتلى وإصابات حتى المصلين في المساجد أثناء خطبة الجمعة لم يسلموا منهم، ثم يعودون من نفس الأنفاق.

زاد سالم من سرعة سيارته حتى يتبين له الأمر، كلما اقترب وضح له أن النيران والدخان الكثيف المتصاعد قريبة من موقع منزله، فينتابه القلق على جيرانه، خطوات ليرى بعينه ما لم يتوقعه مستبعداً أن حيطة في التعامل مع الظلاميين بعيدة عن أعين الأمن المصري بالتالي لن يكون لهم هدفاً، خاب توقعه لتركيزه في إيمانه أن ليس له عدو سوى ما حدده، جن جنونه واهتز كيانه وبدأ يصرخ عندما استوضح أن هذا الانفجار والنيران كانت في منزله ومزرعته وما فيها من ممتلكات ومن فيها من بشر، نزل من سيارته يعدو مذعوراً يقفز فوق الركام المتناثر يصرخ:

- شقى عمري.. سهيلة.. سليم.. عبلة ، آه يا ولاد الكلب.. آه آه والله ما
اسيب حقي، اللي عملته فيكم تستحقوه ولسه كثير، يا خراب بيتك وعيشتك
يا سالم.

لم يفكر كثيرًا، توجه حيث مكان حزامين ناسفين كان قد تم دفنهما
بالقرب من منزله الذي أصبح كومة من الحجارة وأطلاله لا تبشر بنجاة
أحد فيه، ارتدى الحزامين حول وسطه والجسد منه يرتعش بل كيانه يهتز
كأنه تمكن منه زلزال، ثم توجه مسرعًا يقبض بيديه على الحزامين
الناسفين خشية انفجارها قبل وصوله لهدفه، أخذ يعدو لاهثًا بشدة، والعقل
منه ذهب بلا عودة حتى اقترب من بوابة المعسكر ليراه وحيد عبد العاطي
الذي أخذ يصرخ فيه اقف اقف استنى عندك.

من خلال انتفاخ بطنه، فطن وحيد أنه انتحاري يلف حول وسطه حزام
ناسف، قفز وحيد من فوق شكاير الرمل المتراسة وأسرع نحوه حتى لا
يقترّب من البوابة أكثر ويفجر المعسكر بمن فيه، احتضنه بقوة رجال
أشداء عاهدوا الله، فلم يستطع سالم أن يتقدم خطوة، فما كان منه إلا
الضغط على جهازي التفجير ليصبح هو والشهيد "وحيد" قطع من اللحم
تناثرت في موقع التفجير وبعيدة بأمطار قليلة عن المعسكر.

هرع كل من بالمعسكر على هيئته وأيا كان رداؤه نحو خارج البوابة
ليتبين لهم أن الجندي وحيد عبد العاطي فداهم جميعًا بروحه قدمها برضى
من رضى الله عنهم، وما تبقي من جسده الطاهر جزء يرسلونه لأهله
يدفنوه في قبر يزورونه ليرحموا عليه.

أسرع النقيب يوسف يبحث في وسط اللحم المتناثر المختلط ليجد فردة
ببادة تتم عن الشهيد والتي طارت جانباً وقت الانفجار الرهيب الذي راح
فيه جسد لينعم بوعد رب العالمين.

اجتماع فوري بين قادة المعسكر يلح فيه النقيب يوسف أن يسمح له
سيادة المقدم أن يكلفه بمأمورية تقديم التعازي لأهل الشهيد وحيد عبد
العاطي، مع رجاء مفعم بالبكاء من الصول رمضان وهو يتذكر ما فعله معه
الشهيد عندما لدغه الثعبان، رجاؤه أن يكون مرافقاً للنقيب يوسف فوافق
سيادة المقدم محمد، وانطلقا بالسيارة الجيب قيادة السائق عادل نحو قرية
بني عامر التي تقع في كل ربوع الوطن الهادي في حزنه، بينما الألم
يعتصره عند توديع شهدائه ونزيف الدمع دماً يملأ عينيه.

تقدم النقيب يوسف واضعاً يده في يد أم الشهيد قائلاً :

- بعد إذنك أنا متردد من ساعة ما جيت أقولها لحضرتك ده اللي خلاني
قاعد ومش عايز أرجع.

تنهيدة من الأم واستسلام ثم قالت بهدوء:

- يا ابني وأنا بعد اللي سمعته عن ابني منك ممكن حاجه تخليك تتردد،
اتفضل يا ابني قول وخذ راحتك.

- أنا جبت معايا حاجة في العربية ملفناش غيرها بعد الانفجار اللي حصل.
الأم بلهفة:

- أي حاجة يا ابني منه هاتريح قلبي المحروق عليه، ده ممكن يخليك
تتردد؟ يلا يا ابني ربنا يسعدك قول إيه هي؟
صوت مزيج من الحزن والخجل والشفقة:
- سامحيني "فردة بياذة" بتاعة وحيد الله يرحمه، دي كانت الحاجة
الوحيدة اللي استدلينا عليها.
فرحة أم مكلومة غطاها حزن فقد ولدها الغالي اندفعت قالت:
- قوم هاتها الله يخليك... حاجة من ريحته... قوم قوم يا ضاايا يلا خلي
قلبي يهدا... أنا جايه معاك خد بايدي الله يجعلك سند لأهلك.

دخلت أم الشهيد منزلها المشارك لها حزنها في صمت وصبر
الصابرين المبشرين بصبرهم، تحتضن فردة البياذة ولا تتوقف عن تقبيلها
وتستريح تطلق زغاريد فيها طعم الصبر على ألم الفراق مصحوباً بطعم
اللقاء من خلال أثر من فارق حتى وإن كانت فردة بياذة معطرة بالدم.
لازالت الأم الصامدة محتضنة لفردة البياذة وبدأت ملامح الرضا والثبات
على وجهها، إلى أن أتاها النقيب الذي شعر بها كأم له وأخذ بيدها قائلاً
بمودة:

- يلا يا ماما الجنازة هتتحرك من هنا قدام بيتك كلنا مستنيين حضرتك، يلا
قومي معايا، حاسس بيكي والله، يلا يا أم الشهيد زغرطي وافتخري بابنك
اللي عمله كبير وكثير عند ربنا وعند الناس كلها.

انطلقت بعض الحناجر والقلوب معها تصرخ "لا إله إلا الله .. الشهيد حبيب الله، لا إله إلا الله.. الإرهاب عدو الله"، أم الشهيد "وحيد عبد العاطي" مازالت محتضنة البيادة رافضة أن يحملها عنها أحد، فكيف لأي شخص مهما كان أن يأخذ منها أثر حبيب القلب حتى آخر العمر.

تمت

حسن خلف حسين

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم : حسن خلف حسين

أديب و روائي

مواليد بورسعيد

المؤهـل : بكالوريوس تجارة (محاسبة) عام ٨٠

عضو الاتحاد الدولي للشعراء والأدباء العرب

يميل لكتابة الأدب الاجتماعي والأدب الساخر

hassan.khalf@gmail.com

صدر له :

رواية " زبدة وجبنة وعجوة "

رواية " أحرق ملك روعي "

رواية " روح وريح الجنوب "

رواية " ثرثرة أنجبت بعثرة "

رواية " امرأة من بارود "